الجزء ٨ المجلد ٦



(دمشق) آب سنة ١٩٢٦ م الموافق محرم وصفر سنة ١٣٤٥ هـ

إعراس[1] الخليفة المأمون

« ببوران بنت الحسن سنة ٢١٠ هـ »

ايها السادة :

نستأذنكم في بيان لا بد منه . نجعله تمهيداً للوصول الى ليلة العرس وهو ينطوي على التعريف بالعريس ، وقد لا يوجد بيننا من يجهل صاحب هذا الاسم العظيم ، الا ان في تعريفنا فائدةً وفكاهةً غير خارجتين عن موضوع محاضرتنا .

وفي علمكم ان الدخول على العظماء من السلاطين والامراء ، لم يكن مباحاً الا بعد الاستئذان ، وانتظار الايام الطوال . لصدور الاوامر الملوكية ، ثم لا يتم ذلك الا بعد المرور في الساباطات والاقبياء . ودخول القصور والتقدم في متعددِ الأفنية والرِدَاه والأبهاء ، الى ان يُبشَّر بالوصول الى بهو السُدَّة . ومعاينة صاحب السرير ، ونحن سنسير على هذا النحو ، فننتقل من تعريف الى تعريف ، حتى نصل الى وصف ذلك العرس الشريف .

اما المدة او المسافة التي بيننا وبين ليلة العرس فهي الف سنة ومئة واحدى وثلاثون سنة (١١٠٦ مسيحية) وهي مسافة شاسعة لا يمكن قطعها في ليلة واحدة ، بل لا بد لنا من تجاوز هذه المدة ايضاً الى ما قبلها بثنتين واربع عشرة سنة ، فتكون

---

(١) محاضرة الاستاذ المحقق قسطاكي بك الحمصي احد اعضاء المجمع العلمي تُليت باسمه في ردهة المجمع بدمشق يوم ٢٨ ايلول ١٩٢٣ م .

جملة المسافة التي نجتازها للوصول الى بدء تأريخنا ، الفاً وثلاثمائة واحدى وستين سنة هجرية (١٣٢٠ مسيحية) .

ولا يهولنكم قطع هذه المسافة الشاسعة ، فاننا في عصر الكهرباء ، وسنجاري الكهرباء بسرعتها ، فنقطع كل سنة بثانيتين .

للأمم وملوكها ودولها تواريخ مجهولة ، وتواريخ معلومة ، اما المجهولة فهي المدد التي عاشت فيها تلك الامة دون دول وملوك ، وكانت في حالة الهمجية ، واما تواريخها المعلومة ، فالقديمة منها ما وصلت الينا أخبارها وشاهدنا بعض آثارها ، كالدول المصرية القديمة . واليهودية . والكلدان . والاشوريين . والحثيين . وفارس . واليونان . والرومان . والعرب . وكثير غيرها ، وكلها قد باد ملكها وزالت دولها ، وتشعبت شعوبها او انقرضت وضاعت لغاتها أكثرها حتى لم يبق على وجه الارض فرد ينطق بها او يقرأ كتاباتها او يحل رموزها ، ولا يُستثنى من مئات تلك الامم ، الا امة واحدة ، هي الامة العربية ، أمتكم .

« الامة العربية »

هذه الأُمة أقدم الأُمم من بعد قوم نوح ، وأعظمهم قدرة . وأشدهم قوة . وآثاراً في الارض ، واول أجيال العرب من الخليقة ، وكان لهم ملوك ودول في جزيرة العرب ، وامتد ملكهم الى الشام ومصر وقيل ان فراعنة مصر منهم ، ويقال انهم انتقلوا الى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام ، ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وحصون وقصور وابنية مرتفعة ، وكانت مواطنهم بين اليمن وعُمان الى حضرموت والشَحْر ، وقوم منهم العماليق اختطوا يثرب ، ومن العرب بنو ثمود وكانت ديارهم بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال ، وهؤلاء كلهم يسمون العرب العاربة او العرب البائدة لطموس اخبارهم وبُعْد تواريخهم وهم الطبقة الاولى من هذه الامة .

اما الطبقة الثانية منها وتسمى العرب المستعربة ، فأشهر ملوكها يعرب بن قحطان واشهر شعوبها حمير وكهلان .

واما الطبقة الثالثة فتسمى العرب التابعة للعرب وهم من البادية اهل الخيام لم يزالوا من أعظم أمم العالم واكثر أجيال الخليقة ، ينتهي اليهم العز والغلبة بالكثرة ،

فيظفرون بالملك ، ويتغلبون على الاقاليم والأمصار ، ثم يهلكهم الترفه والتنعم فيُغلبون . وهذا كله ملخص عن ابن خلدون وهو من ثقات المؤرخين .

ولقَّب العرب بعد الاسلام من كان قبلهم على أمتهم بالجاهلية ، اختصوا بذلك عبدة الاصنام والمشركين ، اذ انهم كانوا يعلمون ان قبائل خيبر يهودٌ عرب مثلهم ، وعرب الشام نصارى وكان لهم قبل ذلك ملك الحجاز ، وكلاهما اهل كتاب .

ولكن هذا اللقب لا يصدق ايضاً على عبدة الاصنام والمشركين من العرب اللهم الا من قِبَل تمسكهم بعباداتهم بعد الاسلام ، اوجهلهم الكتب المنزلة ، قال في كتاب موسوعات العلوم الكبيرة الفرنسوية ما نعربه : ان هذا النعت لا يطابق الحقيقة ، اذ للبدو معرفة واسعة بالانساب وكل ما يتعلق بالتاريخ ، وكانوا يعرفون مراقبة سير النجوم ، بل فوق ذلك كله كانوا يقرضون الشعر المتخلل اللطيف ، وهو ما لا يتفق مع الخشونة التي ألصقوها بهم ، ثم انه وان كان الكلام عن عامة العرب ، فيجب ان لا يفوتنا ان العرب كانوا قسمين ، قسماً ظاعناً ، وقسماً مقيماً ، فالمقيمون منهم كانت لهم مدن في الامصار العربية ، وهؤلاء أدركوا شوطاً بعيداً من المعارف . انتهى كلام الموسوعات .

وان أمة بنت سد مأرب ، وقصر غمدان ، وضربت السكة ، ونقشت عليها صور ملوكها ، واخترعت الحروف الحميرية ، وكتبت وحفرت كتاباتها على الحجر وغيره ، وهي بين أيدينا بعد عشرين قرناً ، نقول ان أمة كهذه قد اتقنت ولا ريب فن الهندسة ومايتعلق بها ، ورصدت النجوم ، وقرضت محاسن الأشعار ، وبرعت في غير ذلك من العلوم والصناعات ، لا ننكر عليها المدنية كما انكرها عليهم بعض علماء المشرقيات في الغرب ، ومنهم العلامة (پرؤ Preux) ، الا انه لم ينكر مدنية الشرق الاسلامي كما تغالى بعض متعصبي الفرنجة ، فأنكر الهندسة العربية ، والعربية الاسلامية وآثارها ماثلة للعيان في الاندلس وغيرها ، ولكن لا عبرة بقول من يجحد المنظورات ولله در القائل :

ويظهر الجهل بي وأعرفه والدرّ درٌّ برغم مَن جهلَه

هذه أيها السادة مقدمة إجمالية ، في اولية الامة العربية ، ولما كانت جميع الدول العربية السابقة الاسلام ، كالعيون بالنسبة الى الاوقيانوس ، او كالبروق في ظلمات

الليالي ، بجانب الشمس المنيرة يجمل بنا ان ننظر في أولية الدول العربية ومنشئها :

خذ ما نظرت ودع شيئاً سمعت به   في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

« دولة الخلفاء الراشدين »

اول عظيم قام في العرب ، هو ولا ريب النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم الى عبد مناف فما فوقه . ثم خلفه بعد وفاته ابوبكر الصديق ، ثم خلفه عمر ابن الخطاب ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن ابي طالب . وهذه هي الدولة العربية الاولى في التاريخ الاسلامي ، بدؤها منذ اعلان محمد نبوءته ، وذلك لستمائة وعشرين سنة مسيحية اي بعد مولده الشريف باثنتين واربعين او احدى واربعين سنة الى وفاة الامام علي مقتولاً وذلك سنة ٦٦٧ فتكون مدتها نحو سبع واربعين سنة . فتحت بها هذه الدولة البدوية ، اليمن والعراق والشام (اي سورية) بفلسطينها ، وممالك فارس وارمينية ومصر وطرابلس الغرب وبلاد اذربيجان وافريقية والاندلس وقبرس والافغان .

« بدء الدولة العربية الثانية دولة بني أمية »

في السنة الاربعين من الهجرة وهي السنة السابعة والستون بعد الستمائة للمسيح ، بويع بالخلافة في بيت المقدس اول من أسس دولة بني أمية وجعل سرير الخلافة في دمشق .

ومعاوية هو السلطان العظيم داهية رجال العرب معاويةُ بن ابي سفيان صخر بن حرب بن أمية الذي يُنسب اليه الأمويون ، مَلك ثماني عشرة سنة ، وكان في الحلم غاية لا تُدرك ، ومما يؤثر من كلامه قوله : اني لأرفع نفسي من ان يكون ذنبٌ أعظم من عفوي ، وجهلٌ اكبر من حلمي ، وعورةٌ لا أواريها بستري ، وإساءةٌ اكثر من احساني » وأغلظ له القول رجل ، فقيل له : « أتحلم عن هذا ؟ فقال اني لا احول بين الناس وألسنتهم ، ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا » .

وهو اول خليفة في الاسلام ، بايع ولده واكره الناس على مبايعته واولُ من استعمل الحجاب على بابه من ملوك العرب ، واول من اتخذ منهم ديوان الخاتم وحزم الكتب اي ختمها .

ومن مُلح التاريخ ان عامله على مصر عمرو بن العاص أول ما قَدِم عليه في جماعة من اكابر مصر قال لهم عمروٌ قبل دخولهم على معاوية : لا تسلموا عليه بالخلافة — اي لا تقولوا له السلام على أمير المؤمنين — ذلك أهيب لكم في قلبه وصغّروا ما استطعتم ، وبلغ ذلك معاوية فأوصى حجّابه ان يتعتعوهم أشد ما يكون قبل دخولهم عليه ، اي ان يسترهبوهم و يستنزلوا الرعب والخوف على قلوبهم فيتتعتعون ، اي يستولي عليهم العي والحصر فيترددون في كلامهم ، فقال اولهم عند دخولهم السلام عليك يارسول الله وتتابع القوم على ذلك ، فلما خرجوا قال لهم عمروٌ لعنكم الله نهيتكم ان تسلموا عليه بالإمارة فسلمتم عليه بالنبوءة ·

وخلفه بعده ابنه يزيد ملك ثلاث سنين وتسعة اشهر واياماً · ثم ملك بعده ابنه معاوية الثاني أقام اربعين يوماً ومات · وتولى الخلافة بعده مروان بن الحكم بن أمية وأقام عشرة اشهر وتوفي · ثم خلفه في الملك بعده ابنه عبدالملك ، وكان من اعظم بني أمية بطشاً ، واوفرهم دهاءً ، واكثرهم حروباً ، واشدهم شجاعة وحزماً ، واغزرهم علماً وعقلاً ، وهو اول من ضرب الدنانير والدراهم في الدول العربية بعد الاسلام ، واول من نقل الديوان ، اي حسابات الدولة من الفارسية الى العربية ، واول من نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء ، وكانت مدة ملكه عشرين سنة وخمسة اشهر ودفن بدمشق ·

ثم خلفه ابنه الوليد وكان جباراً عنيداً ، وكانت مدة ملكه تسع سنين واربعة اشهر واياماً · ثم خلفه اخوه سليمان وملك سنتين وسبعة اشهر · ثم خلفه ابن عمه عمر ابن عبدالعزيز بن مروان ، ظل سنتين واربعة اشهر ، ودفن بدير سمعان ، وبه وبعمر ابن الخطاب جرى المثل بعدل العمرين · ثم خلفه يزيد بن عبدالملك وأقام اربع سنين · ثم خلفه اخوه هشام وأقام تسعة عشرة سنة واياماً ودفن بالرصافه · ثم تولى بعده الوليد بن يزيد بن عبدالملك أقام سنةً وشهرين ونيفاً وقتل بدمشق · ثم تولى يزيد بن الوليد أقام خمسة اشهر واياماً · ثم خلفه ابراهيم بن الوليد أقام سبعين يوماً وخلع نفسه · فخلفه مروان الثاني أقام خمس سنين الا عشرين يوماً ، وكان شجاعاً حازماً ، الا ان ايامه كانت ايام فتن وحروب ، قُتل بآخرها في كنيسة من بوصير بصعيد مصر ، وكان هارباً من وجه العباسيين ، وهو آخر خلفاء هذه الدولة ،

وعدتهم اربعة عشر خليفة . بنوا المدن ، ومدنوا القبائل وغزوا وفتحوا ، وعمروا بلاداً عديدة ، ومدوا ملكهم الى الهند بآسيا ، والى صقلية اي سيسيليا باوربا ، والى اقاصي المعمور من افريقية في مدة تسعين سنة فقط .

« الدولة الثالثة وهي دولة العباسيين »

بُدئت بابي العباس الملقب بالسفاح لكثرة من قتل في اول دولته وسميت بالعباسية نسبة الى جد هذا البيت ، العباس من بني هاشم ، وبنو هاشم وبنو أمية ينتمون جميعاً الى عبد مناف ، وكلهم من قبائل قريش ، ويدعي الهاشميون الرئاسة وتعترف لهم بها قريش كلها الا ان بني أمية كانوا اكثر عدداً من بني هاشم ، والعزة بالاكثر ، ولهم قبيل الاسلام شرف معروف ، فوصل معاوية الى الخلافة بذلك ، وأسس قواعد الدولة الأموية ، فكان بين العباسيين وبين الأمويين منذ تبوأ معاوية الخلافة ، مايكون بين بيوت الملك في الدول ، من التحاسد والتضاغن ، وكان العباسيون لايفترون هم وقومهم من بني هاشم ، عن نصب المكائد ، وتسعير الفتن وايغار الصدور ، والطعن على اعمال الأمويين وعمالهم ، والادعاء عليهم باغتصاب الخلافة من بيتهم ، وكان الأمويون يشددون على بني العباس وشيعتهم ، بين سجن وتعذيب وقتل كلما رابهم منهم مريب ، وكان بين البيتين من الوشاة والحساد والمفسدين ، مايكون مثله في قصور الملوك ودور الامراء ، سنة في الخلق وخليقة من طبائع العمران .

ولم تعدم دولة الأمويين خلفاء يُعدّون من أعاظم ملوك الارض دهاء وتدبيراً وحزماً وعدلاً ، كعبدالملك بن مروان وابنيه الوليد وهشام وعمر بن عبدالعزيز ، كما انها لم تخل من خلفاء أبطرهم الملك فأفسدوا وأساؤا كالوليد بن يزيد ، وكانت اتسعت فتوح الدولة الأموية وامتدّ ملكها امتداداً لايصونه ، الا العدل والقوة والتدبير ودهاء السياسة . وكان دعاة بني العباس منذ زمن طويل قد انتشروا في الحجاز والعراق وبلاد فارس ، يبثون الدعوة للعباسيين ، ويفسدون على الأمويين اعمالهم ، ويطعنون فيهم وفي عمالهم حتى انحرفت عنهم اكثر قلوب الامة .

ولما استوثق السفاح من شيعته ، جاهر بدعوة الخلافة لنفسه ، فبايعه الناس بالكوفة وغيرها في السنة الثانية والثلاثين بعد المائة للهجرة ، وهي تقع في الخمسين بعد

السبعمائة للمسيح ، وظلت خلافتهم في بغداد خمسمائة واربعاً وعشرين سنة ، تولاها سبعة وثلاثون منهم ، ثم انتقلت الى مصر وتولاها فيها ثلاثة عشر خليفة منهم ، خلافة لم يكن لهم منها غير الاسم ·

أقام السفاح اربع سنوات وأشهراً وتوفي سنة ١٣٦ (سنة ٧٥٤م) · ثم خلفه اخوه ابو جعفر المنصور ، كان مهيباً شجاعاً يقظاً مدبراً عالماً فصيحاً ، داهية ظالماً بخيلاً ، بنى مدينة بغداد ومهد اطراف ملكه الشاسع ، وترك عند موته خزينة الملك مملوءة من أموال الخراج والمظالم ما يكفي خلفه عشر سنين ، بعد ان أقام في الخلافة اثنتين وعشرين سنة وتوفي للثامنة والخمسين بعد المئة (سنة ٧٧٦م) · ثم خلفه ابنه المهدي ملك تسع سنين وعشرة اشهر ، وكان حليماً كثير العفو عن المذنبين ، باهر الجمال ، توفي مسموماً على اصح الروايات للتاسعة والستين بعد المئة (سنة ٧٨٦م) ·

ثم خلفه ابنه موسى الهادي ملك سنة وثلاثة اشهر ، وكان جواداً فصيحاً عالماً مهيباً ، مات مسموماً في السبعين بعد المئة (سنة ٧٨٧م) ·

اما هرون الرشيد فهو ابعد ملوك الارض صيتاً ، وأعظمهم همةً ، واكثرهم غزواً ، وأوفرهم حباً للأدب والشعر ، وأشدهم كرماً ، كان داهيةً باحوال السياسة ، شديد البطش ، عالماً ناصراً للفنون ، شاعراً محباً للعمران والحضارة ، زين بغداد بالقصور المتعددة ، والمباني الفخمة ، والمصانع النافعة ، والمدارس والمساجد ، وبنى مدينتي الرقة والهارونية ، ولم تزل أطلال قصره وبعض جدرانه قائمة الى اليوم في الرقة · وقد شاهدتها وعدت عنها حزيناً ·

ولم يسبقه احد من ملوك الارض بفرط تكريم العلماء والشعراء ولم يحاكه احد بوفور الإنعام عليهم ، وكان موفقاً محظوظاً ·

فقد ازدان ملكه بوزرائه بني برمك الذين كانوا من محاسن الدنيا عقلاً وحكمة ، وادباً وجوداً ، ثم نكبهم نكبة تناقلتها القرون ، لاستبدادهم بالملك والملك عقيم ·

الا ان بعض مؤرخي الفرنج — ومتأخرهم ينقل عن متقدمهم ما يروونه عن العرب دون تمحيص — لم ينصفوا الرشيد فأكثرهم يصفه انه كان أثراً ظالماً عتياً ، يستشهدون بايقاعه بالبرامكة وبما حكاه القُصاص من العرب عن نكبتهم ، وما تكهنوه لها من

الاسباب التي تخالف كل قياس منطقي ، وذلك نقلاً عن ألسنة العامة بعد وقوعها بزمن طويل . اذ اننا لم نجد مؤرخاً ثقةً نقل حقيقة السبب الذي حدا الرشيد الى ذلك القصاص الشديد بعد علو القدر وجلالة المنزلة التي كانت ليحيى البرمكي واولاده عنده ، وأحسن ما قرأته عن ذلك وأحسبه أقرب الى الحقيقة من كل ما روي ، ما ورد عن سعيد بن سالم وقد سُئل عن جناية البرامكة فقال ماتحصيله : ان الرشيد رأى كثرة حمد الناس لهم ورميهم بآمالهم دونه . والملوك تتنافس باقل من هذا ، الى ان قال ووقع منهم بعض الادلال خاصةً جعفر والفضل دون يحيى : فانه كان أحكم خبرةً واكثر ممارسةً للامور ، ولاذ بالرشيد من اعدائهم كالفضل بن الربيع فستروا المحاسن وأظهروا القبائح .

هذا ما ظهر لهذا الرجل ، وما يدرينا ما ثبت عليهم عند الرشيد من الذنوب والجنايات ، كإصدار امرٍ او نهيٍ باسم الخليفة دون مشورته ، اواستخفاف باوامره ونواهيه ، ولعل هذا كل السبب في ذلك كما يفهم من اطلاق جعفر ليحيى بن الحسين وكان خارجاً على الخلافة ، ولما سأله عنه الرشيد أقسم له برأسه انه لم يزل محبوساً ، وكما يفهم من الابيات التي رفعت الى الخليفة وهي :

قل لأمين الله في ارضه ... ومن اليه الحلُّ والعقدُ
هذا ابن يحيى قدغدا مالكاً ... مثلك ما بينكما حدٌّ
امرك مردودٌ الى امره ... وامره ليس له ردٌّ
وقد بنى الدار التي ما بنى ... فرسٌ لها مثلا ولا الهند
ونحن نخشى انه وارثٌ ... ملكك ان غيّبك اللحد
ولن يباهي العبد أربابه ... الا اذا ما بطر العبدُ

ونحن نرى في هذه الحكاية ووراء هذا اللفظ يداً بل أيدياً عباسية ، وصدوراً مُلئت حقداً على جعفر وغيرةً منه ، ونفساً هاشمياً ، والناقد البصير يرى في صلب جعفر وحبس ابيه وأخيه وسائر قرابتهم ، ما يؤكد ان ذلك القصاص الشديد كان قمعاً لفتنة كامنة ، وقطعاً لالسنة طاعنة ، وردعاً لكل استخفاف بسلطان الخلافة ،

وقد حُظر على الناس التحدث بذلك يومئذ كما يفهم من قول الشاعر الرقاشي في رثاء البرامكة :

فلم ار قبل قتلك يا ابن يحيي — حساماً فلَّه السيف الحسام
اما والله لولا خوفُ واشٍ — وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا — كما للناس بالحجر استلام

ووقع أمثال هذه الحادثة بعدها في كثير من دول الغرب ، ورأى غير واحد من مؤرخيهم عدالة ذلك القصاص في شرع السياسة . على ان أدقَّ من نظر من المؤرخين في هذه الحادثة نظراً سياسياً مطابقاً لعادات ذلك العصر وشؤونه ، ودحض هذر القصاص ، هو الفيلسوف ابن خلدون ، وبهذا كفاية للرد على أقوال بعض المؤرخين من الفرنجة وغيرهم .

ولنعد الى تتمة الكلام على هارون الرشيد فقد تحلى بلاطه بعظماء الرجال من كل فن ، فمن أطبائه آل بختيشوع ، ومن شعرائه ، ابو نواس . وابو العتاهية . ومسلم ابن الوليد . والعباس بن الاحنف وأضرابهم ، ومن القُصّاص الخليل بن احمد واضع العروض . والاصمعي ، ومن الندماء ابراهيم الموصلي . وزلزل . وابن جامع . وابن الزفّ وأضرابهم ، وقضاته ابو يوسف يعقوب الانصاري وابنه يوسف . وابو البختري وهب القرشي وأمثالهم ، ومن العلماء سيبويه . وابن يونس ، ومن الأئمة ابوحنيفة . والشافعي . والامام احمد بن حنبل . ملك اثنتين وعشرين سنة وسبعة اشهر شمسية وتوفي للسنة الثالثة والتسعين بعد المئة للهجرة (٨١٠م) في طوس ودفن بها . وأجمع المؤرخون على ان الرشيد ترك في بيت المال تسعمائة الف الف دينار ، والدينار يساوي مثقالاً ذهباً او نحو ليرة فرنسوية ، ولعل الاصل تسعون الف الف اي تسعين مليوناً .

وقال ابن خلدون وهو ثقة : رأيت في بعض تواريخ الرشيد ان المحمول الى بيت المال في ايامه سبعة آلاف قنطار وخمسمائة قنطار في كل سنة انتهى قوله . والقنطار فيما ذهب اليه المحققون اربعة آلاف دينار ، فتكون جملة ذلك ثلاثين مليوناً من الدنانير ، وهو مبلغ لا يستكثره من وقف على سلطان الدولة العباسية . وقد كانت

الدولتان العربيتان قبلهـا مهدتا لها الملك الشاسع ، فاستباحتا لها ملك فارس والروم اهل الدولتين العظيمتين في العالم لذلك العهد ، والترك بالمشرق حتى الصين ، والفرنجة والبربر بالمغرب ، والقوط (الكوت) بالاندلس ، وخطت جنود العرب من الحجاز الى السوس الاقصى ، ومن اليمن الى الترك باقصى الشمال واستولت على الاقاليم السبعة . وكانت لعهـد الرشيد تحمل المكوس والضرائب والجزية والخراج الى بيت المال من الهند والصين ومصر وفارس وسورية وغيرها .

ثم خلفه ابنه محمد الامين أقام في الملك اربع سنين وخمسة اشهر اوتزيد ، وكان شجاعاً اديباً شاعراً ، محباً للهو ناقص التدبير ، فاختل الملك ، وسعى الوشاة بينه وبين اخيه المأمون ، ففسد مابينهما ، وكثرت الفتن وقامت الحرب بينهما ، وقتل في آخرها الامين وذلك سنة ١٩٨ (٨١٤م) .

ثم قام في الملك بعده بطل محاضرتنا امير المؤمنين ابوالعباس عبد الله المأمون السابع من بني العباس . واذ وصل بنا الحديث الى خلافة المأمون ، فيجدر بنا ان نلقي نظرة إجمالية على بسيط مملكة الممتد الاطراف ، البعيد الاكناف ، ثم على دخل خزينته ، ليكون السامع على ثقة بما نرويه عن نفقات ذلك العرس ، وهو مما لم يروَ له شبه في تاريخ أمة من الامم ، ثم نلمح بغـداد مقر الخلافة العباسية لمحة سريعة لنعلم كيف كانت لعهد ذلك العرس ، ثم نلم بشيء من صفات المأمون واخلاقه وعلومه وغزواته ، ثم نتعرف بحمي الخليفة وهو الحسن بن سهل ، ثم ببوران ابنته عرس المأمون .

« المملكة العباسية »

كانت المملكة العباسية لعهد المأمون ممتدة في آسيا من بغداد وسائر العراق الى الحجاز واليمن وفلسطين والشـام (اي سورية) وارمينية ومملكة فارس (ايران) وافغانستان وقسم من الهند والصين ، ثم مصر في افريقية واكثر المعمور منها ايضاً ، قال ابن خلدون : وجد بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل (اي حساب) بما يحمل الى بيت المال ببغداد ايام المأمون من جميع النواحي نقلته من جراب الدولة (اي دفتر) وعدّد الغلاّت بلداً بلداً ومملكةً مملكةً فبلغت ثلاثة ملايين وثمـانمائة وسبعة عشر الف دينار ومائتي مليون وسبعة وستين مليوناً وثمانمائة وخمسة وعشرين الفاً وثمانية

دراهم اه . فاذا حسب الدرهم عشر الدينـار حسب رواية ابن خلدون وغيره ، كان مجموع الدخل في تلك السنة ثلاثين مليوناً من الدنانير ، ما خلا الوفاً من سبائك الفضة ، والوفاً من الحيوان كالخيل والبغال والبراذين والبقر والغنم ، والرقيق والثياب والاكسية الحريرية والزيت والعسل والعود الهندي والفرش والبسط والتمر وعطر الورد والسكر وغيره ، وذلك كما كان لعهد ابيه هرون الرشيد حسبما بيناه بل ربما زاد عنه ، وهذه الاموال كانت تحمل الى بيت المال من العمال والولاة في تلك الاقطار ، وكان الخليفة يولي عليها كبار الرجال والقوّاد من اهل بيته ، او ممن لهم سابقة خدمة في الدولة من اهل الكفاية والتدبير ، وهؤلاء يولون من هم دونهم من ذويهم وصنائعهم على جباية الخراج ، وكانوا في الغالب يجعلون الجباية إقطاعاً اي التزاماً او مزايدة ، كالتعشير ليومنا هذا ، ولما كان الظلم من الاخلاق الانسانية ، والامانة عزيزة في الطبائع البشرية ، وكانت الفتوح في ذلك العهد وقبله كثيرة ، وطرق الكسب والغنـائم سهلة متوفرة ، فكان كسب الولاة وعمالهم يومئذٍ مما لا يكاد يصدق لو لا ما لدينا من الحقائق التاريخية التي لا ريب فيها .

وكان للدولة العباسية خزانة أُخرى تسمى بيت مال المظالم ، وهي الاموال التي كان يستصفيها الخليفة من وزرائه وعماله ، او التي كان يعتصرها الولاة والعمال ممن هم دونهم عند الارتياب بامانتهم ، او الطمع بثروتهم ، فيُنزلون عن مراتبهم ويسجنون ، وعاقبة ذلك في الغالب القتلُ صلباً او خنقاً ، وتُستصفى أموالهم من صامت وناطق ، وأملاكهم جميعها وتحمل الى بيت مال المظالم . واما ما كان هنالك من كنوز الأموال والدرر النـادرة ، والجواهر الفريدة ، وغرائب التحف الثمينة ، وعجائب المصنوعات فحدث عن البحر ولا حرج ، ومثل هذا كان جارياً لذلك العهد وبعده ، في سائر الدول ، دون بيت مال يسمى مال المظالم ، وليس عهد ذلك ببعيد في الدولة التركية . فاذا عُلم هذا كان تمهيداً لما يأتي عن ثروة الحسن بن سهل ختن المأمون وكرمه الجم .

« للكلام صلة »

قسطاكي الحمصي

الشوقيات

« الجزء الاول »

— لاحمد شوقي —

شعر شوقي أكمل صورة تمثل حاضر الأمة المصرية ، كما انه أصفى مرآة تتراءى بها حياة مصر السياسية والإجتماعية والأدبية .

والعوامل التي هيأت هذا الشاعر جمّة : فهو من حيث الدم والعرق مزيج من شعوب شتى اذ كما يقول عن نفسه : عربي تركي يوناني جركسي لانه يمتّ الى هذه الشعوب بأنساب آبائه وأمهاته . وهو من حيث المولد والنشأة مصري ، وُلد ونشأ في بيت اسماعيل عزيز مصر ، وناهيك ببلاط اسماعيل وما فيه من البذخ والترف والأبهة والجلال ، وأرسله الخديو توفيق الى اوربا ليتم تحصيله في مدارسها ، فتثقف بالثقافة الغربية وانفسح لخياله مجال واسع من عالم الشعر ، فلما توفي توفيق وولي بعده ابنه عباس كان شوقي شاعره الخاص ورفيقه وسميره ومن أعظم الناس نفوذاً في قصره .

وشبت الحرب العامة ، وخلع عباس ، وولي حسين كامل ، وشوقي محافظ على ولاء مولاه محافظة حمّلته عناء النفي والتغرب عن مصر والذهاب الى الاندلس التي ظلّ بها الى ما بعد انقضاء الحرب والتي بعثت في نفسه ذكريات المجد الخالد الذي أقامه العرب في تلك الربوع فنظم بها قصيدة جيدة .

حوادث خطيرة وأمور مدهشة وتطور عجيب أدركها شوقي : عظمة اسماعيل وسقوطه ، والثورة العرابية ، واحتلال انكلترة للقطر المصري ، وتولية توفيق ووفاته ، وإقامة عباس وخلعه ، وما نتج عن هذه الأحداث من قلب الحياة المصرية رأساً على عقب ، وسريان التمدين الاوربي في القطر المصري ، واخذ المتعلمين من الناشئين بمناحيه ، وتنبه الافكار الى اقتباس التربية الغربية ، وشيوع الروح الوطنية والحماسة الشعبية في نفوس المصريين ، وما بذلوه من جهودهم وأموالهم ودمائهم في مظاهراتهم وثوراتهم الأخيرة في سبيل استقلالهم .

بينا هذه الحوادث تجري في مصر كان الشرق الاسلامي والعالم العربي تنزل على رأسه الضربة تلو الضربة من الطمع الاوربي والجشع الاستعماري ، وكان يتثاءب من رقاد طويل ويفتح عينيه بعد نوم عميق ، ولكن على مجازر وفجائع ، بعثت فيه ثورة فكرية ما زالت تتمخض بأحداث عظيمة ما سيكون منها أعظم مما كان وما هو كائن .

وشوقي ، المصري بمولده ومنشئه ، والمسلم بدينه وعاطفته ، والعربي بلسانه وفنه ، والواقف على الثقافة الغربية ، والعارف بما عند الغربيين من حول وطول ، وبما تنطوي عليه نفوسهم من حيلة ودهاء ، جرت كل هذه الحوادث على مشهد منه فهيأته لأن يكون الشاعر الفرد في عصره .

* * *

يمتاز شوقي بقوة طبعه ، وسعة خياله ، وسمو شاعريته ، ودقة حسه ، وسرعة ملاحظته ، وكونه خلق شاعراً قبل كل شيء ، ويكمل ذلك روعة بيانه ، وفصاحة أسلوبه ، وكرم ديباجته ، وكثرة الماء في شعره ، وذوقه الموسيقي الشعري في ألفاظه وتراكيبه ، واضطلاعه بفنون البلاغة ، ووفرة معرفته بالتاريخ والأدب ، فهو قد استوفى أدوات الشاعر الخلقية والكسبية ، وهو اذن الشاعر حقاً .

لا اعرف شاعراً في هذا العصر قادراً على تصوير كل ما يجول في نفسه ويحوك في صدره ، مجوّداً في كل فن من فنون الشعر مثل شوقي ، فتراه يلج الى الشعر من كل باب ، ويترجم به عن كل خالجة ، والشعر أطوع له من ظله ، ينظم في المواضيع السياسية والوطنية والإجتماعية والتاريخية والفلسفية والادبية والقصصية والاقتصادية ، وفي مابعد الطبيعة وفي باب التربية والتعليم والمواعظ والحكم والأخلاق ، ويصور الآثار الخالدة ومشاهد الطبيعة ، ويتغزل ويتصابى ويصف الخمرة ومجالس الأنس والرقص والرياض ، ويفتخر ويمدح ويرثي ويعزي ويتهكم ، بأسلوب عربي فصيح ، حتى انه لم يشأ ان يفوته نظم الشعر العامي المعروف بالمواليا فلقد عاناه ونظم جملة منه .

وكأن جو مصر لم يسعه فلقد تعداه الى غيره من الاقطار الشرقية ، ولم يكتف بان يكون شاعر مصر بل طمح الى ان يكون شاعر العرب والإسلام والشرق .

وقعت الحرب العثمانية اليونانية أيام السلطان عبد الحميد فعناه امرها اكثر مما

عني كل شاعر تركي ونظم بها قصيدة طويلة اتى فيها على حوادث الحرب منذ البداية الى النهاية واول القصيدة :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب   و ينصر دين الله أيان تضربُ

وأردفها بقصيدة ثانية في الموضوع نفسه مطلعها :

بحمد الله رب العالمينا   وحمدك يا امير المؤمنينا

وأُلقيت على السلطان عبد الحميد قذيفة ونجا من شرها فقال قصيدة أولها :

هنيئـاً امير المؤمنين فإنما   نجاتك للدين الحنيف نجاةُ

وأُعلن الدستور العثماني فقال فيه قصيدة مطلعها :

بشرى البرية قاصيها ودانيهـا   حاط الخلافة بالدستور حاميها

وخلع السلطان عبد الحميد فقال في ذلك قصيدة أولها :

سل (يلدزاً) ذات القصور   هل جاءها نبأ البـدور

وهي قصيدة عامرة كان أديب العصر الامير شكيب ارسلان يتلوها و كنت اسمعه يقول عقب كل بيت منها (تقريباً) : لو لم يكن في هذه القصيدة غير هذا البيت لكفى .

ثم لما شبت الحرب البلقانية وكانت نتيجتها ضياع الروميلي قال في ادرنة قصيدة فريدة دعاها الاندلس الجديدة مطلعها :

يا اخت أندلسٍ عليك سلامُ   هوت الخلافة عنك والاسلامُ

ولما غُلبت الدولة العثمانية في الحرب العامة واحتلت الحلفاء بلادها وقام على اثر ذلك مصطفى كمال بثورته المشهورة نظم قصيدة دعاها (انتصار الاتراك في الحرب والسياسة) اولها :

الله اكبر كم في الفتح من عجب   يا خالد الترك جدد خالد العربِ

وثانية عنوانها (تكايل انقرة وعزل الاستانة) مطلعها :

قم ناد (انقرة) وقل يهنيكِ   ملك بنيت على سيف بنيكِ

ولما ألغى مصطفى كمال الخلافة وطرد الخليفة بكى الخلافة أحرّ بكاء ورثاها أفجع رثاء بقصيدة أولها :

عادت أغاني العرس رجع نواحِ   ونعيتِ بين معالمِ الافراحِ

هذا بعض ما قاله في الاتراك وله في البلاد العربية قصائد منها قصيدة يستندي

بها اكف المصريين لاعانة المقاتلين في طرابلس الغرب حين أغارت ايطاليا عليها اولها :

يا قوم عثمان والدنيا مداولة تعاونوا بينكم يا قوم عثمانا

وقصيدة دعاها (نكبة بيروت) قالها حينما ضرب الاسطول الطلياني هذه المدينة مطلعها :

يا رب أمرك في الممالك نافذ والحكم حكمك في الدم المسفوك

ولما زار الشام في الصيف الماضي قال قصيدة في لبنان أولها :

السحر من سود العيون لقيته والبابلي بلحظهن سقيته

وقصيدة في دمشق مطلعها :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا مشت على الرسم أحداث وأزمان

وقد كانت هذه القصيدة غاية في البراعة ، فانه ضرب بها على مكامن الحس من قلوب الدمشقيين ، وبلغ مواطن عواطفهم فاستثارها ، فذكر لهم عدنان وغسان وأمية وعبد شمس ومروان ، وذكّرهم بالدولة العربية التي كانت دمشق عاصمتها ، وتفجّع على ذلك التاج الذي هوى ، وبكى ذلك العَلَم الذي انطوى ، ورثى ذلك العرش الذي ثُلّ ، واستجاشهم لإحياء المجد الدارس ، فألهب قلوبهم حمية ، وأجرى دموعهم حزناً ، والفتى الدمشقي يكفي ان تعرّض له ببعض هذه الذكريات ثم تدفعه الى مواجهة الموت الزؤام .

ولما ضُربت دمشق رثاها بقصيدة كانت عزاءً حسناً للدمشقيين على كارثتهم واولها :

سلام من صبا بردي أرقُّ ودمع لا يكفكف يا دمشقُ

وكذلك فان بصره امتد الى اقصى الشرق فرثى لليابانيين حينما اجتاحتهم الزلازل بقصيدة مطلعها :

قف بطوكيو وطف على يوكاهامه وسل القريتين كيف القيامه

* * *

في شعر شوقي روح دينية ظاهرة ، فكثيراً ما يرد اسم الله والملائكة وجبريل ومحمد والقرآن والدين والايمان والإسلام ومشاعر مكة والمساجد والاذان ، ومع تفوق روح الدين الاسلامي في شعره تراه يعظّم كثيراً من شأن بقية الاديان السماوية ، فيلهج بذكر موسى وعيسى والعذراء ، ويتأدب عند ذكر مقدساتها ، فالصليب في شعره رمز الرفق والعطف والحنان .

وحوادث التاريخ والإشارة اليها والاستشهاد بها كثير في شعره لا سيما أعاظم الرجال فانه مفتون بهم مغرىً بذكرهم فالفراعنة والاكاسرة والقياصرة وخلفاء العرب وسلاطين الترك شائع ذكرهم في قصائده وله منظومات قصرها على الاشادة بمفاخر العظام كقصائده بالنبي والصديق وتوت عنخ آمون وعبد الرحمن الداخل وصلاح الدين الايوبي وشكسبير ونابوليون بونابارت ومحمد علي واسماعيل ومصطفى كمال وغيرهم ممن يعظم شأنهم وكم يدور في شعره اسماء بعض الخالدين مثل هومير وسقراط والاسكندر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وخالد بن الوليد والحسين بن علي وعمرو بن العاص وهرون الرشيد وغيرهم ·

* * *

ولشوقي أثر ظاهر في الشعر من حيث تنويع ابوابه وجعله ترجماناً للحياة بعد ان مرّ عليه زمان كان فيه أداة فكاهة وتسلية كما ان أسلوبه العذب جرى عليه كثير من شعراء العرب المعاصرين فكثيراً ما يقول شوقي القصيدة فيبادر غير واحد من الشعراء الى مجاراته في البحر والقافية والموضوع · وهو لم يخرج في طريقته على الاسلوب العربي على كثرة ما يتناوله من الموضوعات الجديدة ووصف المستحدثات كقصائده في العمال والصحافة وبنك مصر والهلال الاحمر والمؤتمر الجغرافي والطيارة وما يشابهها بل انك لترى في كل ذلك كلمات وتراكيب هي مثال عالٍ في الفصاحة مع سمو الخيال · وفي هذا دليل على ان العربية وأساليبها لا تعجز عن استيعاب كل منحى من مناحي الشعر العصري وماتستدعية المدنية من التوسع والتجدد ·

اما قوته على استهواء النفوس ونفوذ سحره الى مكامن الحس والشعور فنجتزيء عن ايراد الشواهد عليها بقطعة من أبيات استعطف بها السلطان محمد رشاد على عزيز علي المصري قال :

هذا مقام أنت فيه محمد والرفق عند محمد مأمولُ
بالله بالاسلام بالجرح الذي ماانفك في جنب الهلال يسيل
الا فككت عن السجين وثاقه ان الوثاق على الأسود ثقيل

فانظر الى قوله (هذا مقام أنت فيه محمد) ما أشد تأثيره فيمن يكون خليفة وكم يهز نفسه ويبعث فيها الاريحية حتى تلين وتقبل الانطباع بما سيرد عليها فتتقبل

الرجاء وتستجيب الدعاء ، واي خطاب أعظم وأكرم وأشرف من هذا الخطاب ؟ ثم انظر بمَ استحلفه وباي قسم عزم عليه ؟ بالله الذي يعتبر نفسه ظله على الارض ، والإسلام الذي يتشرف بكونه خادمه وحاميه والجرح الذي كان في علم الاسلام يسيل بعد ضياع البوسنة والهرسك وطرابلس الغرب والروملي ، وانا اظن ان لو استعطف الرشيد بهذه الابيات على البرامكة لوهبهم للشاعر .

ليس لشوقي فلسفة خاصة في الحياة ولكنه مولع بالدعوة الى مكارم الأخلاق على وجه سطحي عام ودعوته هذه أشبه بالموعظة منها بالرأي الذي يعتمد على أسس وقواعد وهو مع ذلك كثير التمتع بملذات الحياة .

ومما لا مرية فيه انه في السنوات الأخيرة شارك الامة المصرية في عواطفها وشعورها وقاسمها سرّاءها وضرّاءها واكثر من قول الشعر اكثر من قبل فلا تقام حفلة في مصر إلا كان شوقي شاعرها ولا يحدث فيها امر ذو بال إلا طلع شوقي على الناس بقصيدة يستوعب فيها الحادث ويرشد الناس الى ما يجب عمله .

نشط منذ بضع سنين بعض الأدباء الى مناقشة شوقي في شعره ، فانتقدوه انتقاداً مراً ، ونعوا عليه كثيراً من سقطاته ، وتتبعوه في زلاته ، وذموا مذهبه في الشعر، وادعوا انه مخالف للفن بعيد عن الجمال ، خارج عن حقيقة الشعر ، بهرج لا يثبت على محك النقد ، ولئن خدعت به الأمة في طور جاهليتها فلا يجوز ان تنخدع به بعد ان ارتقى ذوقها الأدبي . ونحن لا ندعي ان كل ما قاله شوقي في مستوى واحد من الجودة او أن شعره جلّ عن النقد وتبرأ من العيوب ، فان هذه غاية لم يبلغها شاعر ، ولكن اذا أمكن ان تعد سيئاته فحسناته لا تحصى ، وهو مع إكثاره قليل السقطات ولو أسقط السخيف من شعره لبقي من الحر البارع مقدار عظيم ليس لشاعر مثله في هذا العصر ، وما من شاعر سعد بشعره كما سعد شوقي ، وما اتفقت الآراء واصطلحت الاهواء على تقديم شاعر كما اتفقت على تقديمه . اذكر مرة انني أنشدت اديباً من كبار أدباء العراق قصيدة لشوقي يصف بها الطيارة مطلعها :

* * *

(قم سليمان بساط الريح قاما)

فانتصب واقفاً وقال : من حق هذا الشعر ان يسمعه الانسان قائماً لا قاعداً ·
فلا غرابة بعد ذلك اذا زعم بعض الناس ان الرجل مزهو تيّاه متجرف نخور ·

ويقال ان طريقته في قرض الشعر ان ينظم القصيدة كلها في ذهنه ثم يمليها · وهو لا ينشد شعره بنفسه بل يتلوه سواه ، ولعله يعتبر ذلك من مقتضيات الترفع والاباء والشمم · و يريد ان يجري على سنن بعض كبراء الشعراء فقد كان ابو تمام الطائي لا ينشد شعره بنفسه بل كان له غلام لا عمل له غير الإنشاد · وابو الطيب المتنبي كان ينشد شعره بحضرة الملوك قاعداً لا قائماً ، هذا اذا لم يكن لدى شوقي سبب يمنعه من الإنشاد كخفوت الصوت او عدم ممارسة ارتقاء المنابر ·

* * *

اما الجزء الاول من الشوقيات الذي تقدّم اليّ المجمع العلمي ان أكتب عليه فلقد حوى طائفة صالحة من شعر الشاعر في السياسة والتاريخ والاجتماع وما يتعلق بذلك من الفنون والأغراض واستقصاء ما فيه من المحاسن والدلالة عليها او الإشارة اليها والتنويه بها يستدعي نقل اكثر الديوان ولكننا نجتزئ بنقل نبذة يسيرة نحلي بها جيد هذا الفصل · ولنبدأ بايراد شيء من معانيه الرائعة واكثرها مبتكر فمن ذلك قوله في النبي عليه الصلاة والسلام ·

نُظمت أسامي الرسل فهي صحيفة في اللوح واسم محمد طغراءُ

وقوله فيه ايضاً :

وأسدتْ للبرية بنتُ وهب يداً بيضاء طوقت الرقابا
لقد وضعته وهّاجاً منيراً كما تلد السموات الشهابا

وقوله في الشمس :

مشيبة القرون أديل منها ألم ترقرنها في الجو شابا

وقوله في الدنيا :

ومن تضحك الدنيا اليه فيغترر يمت كقتيل الغيد بالبسمات

وقوله في الجهل :

الجهلُ لا يلد الحياةَ مواتُه   الا كما تلد الرمام الدودا

وقوله في أبي الهول :

ابا الهول ماذا وراء البقا ــ ء اذا ما تطاول غير الضجرْ
عجبتُ للقمان في حرصه   على لبدٍ والنسور الأُخر
وشكوى لبيد لطول الحيا ــ ة ولو لم تطل لتشكى القصر
ولو وُجدتْ فيك يا ابن الصفا ــ ة لحقتَ بصانعك المقتدر
(فان الحياة تفل الحديـ ــ ـد اذا لبسته وتبلي الحجر)

وقوله في الحسان :

القاتلات باجفان بها سقم   وللمنية أسباب من السقم

وقوله في الدنيا ايضاً :

لا تحفلي بجناها او جنايتها   الموت بالزهر مثل الموت بالفحمِ

وقوله في العمال وهو غاية في حسن التعليل :

قد دعا كم ذنب الهيـ ــ ـئة داعٍ فأصابا
هي طاوس وهل أحـ ــ ـسنه الا الذنابا

وقوله في مشرط الطبيب :

كريم الظبا لا يقرب الشر حده   وفي غيره شر الورى ومعاطبُهْ
اذا مرّ نحو المرء كان حياته   كإِصبع عيسى نحو ميت يخاطبه
وايسر من جرح الصدود فعاله   وأسهل من سيف اللحاظ مضاربه

ومثل هذا في الديوان كثير ولا بأس بنقل شيءٍ من شعره يدل على رأيه في الضجة القائمة حول القديم والحديث من الأدب فمن ذلك قوله من قصيدة في تكريم امين افندي الريحاني :

هومير أحدثُ من قرونٍ بعده   شعراً وان لم تخل من آحاد
والشعر في حيث النفوس تلذه   لا في الجديد ولا القديم العادي
حق العشيرة في نبوغك اول   فانظر لعلك بالعشيرة باد
لم يكفهم شطر النبوغ فردهمو   إن كنت بالشطرين غير جواد
او دعْ لسانك واللغات فربما   غنى الاصيل بمنطق الأجداد

انّ الذي ملأ اللغات محاسناً جعل الجمال وسره في الضاد

وقد شرح البيت الاول بما نصه : (هومير شاعر يوناني قديم كان شعره قصصاً يضمنه وصف الأبطال والإشادة بذكرهم وهو صاحب الالياذة يريد ان شعره على انه قديم فهو أجود من شعر الذين جاؤا بعده وان كانت ايامهم لم تخل من شعراء مجيدين هم آحاد في عددهم) .

وشرح البيت الثالث بما نصه : (حق العشيرة الخ في هذا البيت والأبيات بعده أمور اخذ بها الريحاني في رفق ولين فهو يقول له ان كانت معانيك في كتابتك جيدة فألفاظك فيها رديئة لانك أُهملت جانب اللغة العربية وهي الشطر الثاني من شطري النبوغ وايضاً يقتضي الوفاء لعشيرتك وقومك ان تحسن لغتهم حتى تغني بها) .

وقوله ايضاً :

لا تحذ حذو عصابة مفتونة يجدون كل قديم شيئ منكرا
ولواستطاعوا في المجامع انكروا من مات من آبائهم او عمّرا
من كل ماضٍ في القديم وهدمه واذا تقدّم للبناية قصّرا
واتى الحضارة بالصناعة رثّةً والعلم نزراً والبيان مثرثرا

وله في هذا المعنى ابيات من قصيدة في رثاء المنفلوطي نقلها — وان لم تكن مثبتة في الديوان — لانها أوضح واكثر تحريراً لرأيه :

لم يجحد الفصحى ولم يهجم على أسلوبها او يزرِ بالأوضاع
لكن جرى والعصر في مضمارها شوطاً فأحرز غاية الإبداع
حر البيان قديمه وجديده كالشمس جدة رقعة وشعاع
يونان لو بيعت بهومير لما خسرت لعمرك صفقة المبتاع

ولنذكر موقفاً من مواقفه المحمودة في الوفاء فمن ذلك قوله من قصيدة في تهنئة السلطان حسين كامل بعد خلع الخديو عباس :

سبحان من لا عزّ إلا عزّه يبقى ولم يك ملكه ليزولا
لا تستطيع النفس في ملكوته إلا رضىً بقضائه وقبولا
الخير فيما اختاره لعباده لا يظلم الله العباد فتيلا

الله يشهد ما كفرت صنيعةً في ذا المقام ولا جحدت جميلا
وهو العليم بان قلبي موجع وجعاً كداء الثاكلات دخيلا
أأخون اسماعيل في أبنائه ولقد وُلدتُ بباب اسماعيلا
ياأكرم الأعمام حسبك ان ترى للعبرتين بوجنتيك مسيلا
من عثرة ابن اخيك تبكي رحمة ومن الخشوع لمن حباك جزيلا
ولو استطعتَ إقالة لعثاره من صدمة الاقدار كنت مقيلا

وفي الديوان قصيدة عنوانها (دمعة وابتسامة) جعلها تهنئة لأم الخديو عباس بعودتها الى مصر وتعزية في حفيدها الذي سبقتها رفاته الى مصر يقول فيها :

ملكتْ نفسكِ حتى سئمتْ ضجة الملك وهمَّ المالكين
دولة مهدت في كرسيها وحملت التاج فيها اربعين
امَّ عباس عزاء الله ان عيَّ بالرزء عزاء المخلصين
غير هذا الجرح داوى قلبي هو جرحي وهومستعصٍ كمين
سرَّني ان قرَّبَ الله النوى وشجاني في غدٍ من تدفنين
قمر حيف عليه فانحنى منزلاً بين الأصول الآفلين
شفّه الأيك حنيناً فقضى وكرام الطير يرديها الحنين
فأخذنا قسطنا من ثكله علّنا نحمل عنكم أو نعين
ورفعنا في الضحايا ذكره وأذعنا يومه في الآخرين
ووجدنا عند ذكرى دمه طيب أبناء (الحسين) الطاهرين
وكأن الناس في موكبه لجلال الموكب الآخر دين
وكأن الآل فيه (هاشم) وكأن الميت (زين العابدين)
حلَّ (بالقاسم) مصباح الهدى و (بابراهيم) نور المتقين
ليس من قدري وقدر الشعر ان نذكر الصبر لأم الصابرين
التي حجَّت وزارت ورأتْ تحت هذا الترب خير المرسلين
حكمت فيه المنايا مرة وجرى الحق عليه واليقين

وأخلق بالنفس الوفية ان تكون أبية ، واي شيء أدل على إباء شوقي من قوله مخاطباً السلطان عبد الحميد :

زهدت الذي في راحتيك وشاقني جوائز عند الله مبتغيات
ومن كان مثلي احمد الوقت لم تجز عليه ولو من مثلك الصدقات

وماعليه بعد ذلك ان يدل بنفسه ويفخر بشعره؟ فتارةً يدعو نفسه حسان بن ثابت فيقول :

وما زلت حسان المقام ولم تزل تليني وتسري منك لي النفحات

وأخرى ابن هانئ فيقول :

ملكت امير المؤمنين ابن هانئ بفضل له الالباب ممتلكات

وثالثة البحتري فيقول :

... ان الذي قد ردّها وأعادها في بردتيك أعاد فيّ البحتري

ويقول ايضاً :

... وتعارضت فيك القرائح وانبرى لأبي نواس البحتريُّ المفلقُ

وربما لج به الفخر فرأى المتنبي دونه فقال :

ولي درر الاخلاق في المدح والهوى وللمتنبي درة وحصاةُ

والابيات التي يفخر بها بشعره غير قليلة ·

ولا اريد ان افرغ من هذا الفصل قبل ان أشير الى هنات وقعت في الديوان لتكون عوذة لمحاسنه ·

قال لي مرة الأستاذ المغربي : انني اجد أحياناً في شعر شوقي غموضاً وابهاماً ، فكنت أتأدب معه بدفع ذلك وحمله على سمو خيال الشاعر ودقة معانيه وتحليق نفسه ، ومهما يكن السبب فان ابياتاً وردت في الديوان تؤيد دعوى الاستاذ منها :

نازح الدار ما لبينك حدٌّ ولقرب الديار زادك بعدا ؟

ومنها : وما حذا (كفؤاد) حذو والده بالعلم برّاً ولا بالفن إحسانا

ومنها : حمّلته[1] في الحب ما لم يكن ليحمل الحبُّ على قلبه

---

(١) الضمير عائد على القلب ·

كما ان في الديوان تجوزاً لغوياً كقوله :

... ونَبْذَ المقوقس عهد الفجو ر واخذ المقوقس عهد الفَجَرْ

وتبديله ظلمات الضلا ل بصبح الهداية لما سفر

يريد ان المقوقس عامل مصر استبدل بظلمات الضلال قبل فتح الاسلام لمصر صبح الهداية بعد الفتح ، والوجه ان تدخل الباء على (ظلمات) لا على (صبح) لان الباء تدخل دائماً على المتروك قال الله تعالى : (أَتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) وقد رسمت لفظة طاوس في ص ٨٧ بواوين والوجه ان ترسم بواو واحدة .

وفي الديوان ابيات قليلة بادٍ عليها اللين والضعف والهزال ولولا اثباتها فيه لما كنت أُصدق انها من شعر شوقي منها :

يسأل الناسُ عندها الناسَ هل في النا س ذو المقلة التي لا تنام

(والقصيدة التي منها هذا البيت قلقة في الفاظها ومعانيها وهي لا تشا كل شعر شوقي)

ومنها : ودار للامير على (جبوقلي) كهمته علواً وارتفاعا

(ركبنا الكهرباء لها فسارت تسابق في السموات (السباعا)

وهذا كما ترى أهون من ان يكون غميزة في شعر شوقي لقلته ، والشاعر الذي تعد كبواته وتجل عن الاحصاء حسناته هو الشاعر العبقري غير مدافع .

الاسكندرية : عضو المجمع العلمي العربي

خليل مردم بك



نظام الآثار القديمة

« في سورية ولبنان »

قرار رقم ٢٠٧

ان المسيو هنري دي جوفنيل العضو في مجلس الشيوخ والمفوض السامي للجمهورية الفرنسية لدى دول سورية ولبنان الكبير وبلاد العلويين وجبل الدروز ٠

بناءً على المرسومين الصادرين في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ و١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ ٠ وبناءً على القانون العثماني الصادر في ٢١ شباط سنة ١٨٨٤ ٠ وبناءً على النظام العثماني الصادر في ١٠ نيسان سنة ١٩١٦ بشأن التنقيب عن الآثار القديمة وحفظها ٠ وبناءً على القرار رقم ٥٦٠ الصادر من الحاكم العام للمنطقة الغربية ٠ وبناءً على المادة الاولى من صك الانتداب ٠ وبناءً على اقتراح امين السر العام قرر ما يأتي :

« الفصل الاول »

المادة الاولى — تعتبر وفقاً لنص هذا القرار آثاراً قديمة جميع المنتوجات التي صنعتها يد الانسان قبل سنة ١٧٠٠ (١١٠٧ ه) ٠ الآثار القديمة هي غير منقولة او منقولة ٠ الآثار القديمة غير المنقولة هي الانشاآت او البنايات القديمة وبقايا او آثار الانشاآت او البنايات الظاهرة او غير الظاهرة فوق الارض وتعتبر ايضاً آثاراً قديمة غير منقولة جميع الاجهزة او القطع التي هي جزء غير منفصل من هذه الانشاآت او البنايات ٠ تعتبر شبيهة بالآثار القديمة غير المنقولة المواقع الطبيعية التي اعدتها او استعملتها الصناعة البشرية لغرض من الاغراض مثل الملاجئ تحت الصخور والمغاور والصخور المشتملة على تصاوير ونقوش ٠ تعتبر آثاراً قديمة منقولة كل الآثار التي لا تدخل في الفئات السابقة وعلى الاخص التماثيل والنقوش النائئة والخطوط والنقود والايقونات والاسلحة والحلي والنقوش المحفورة والاواني والمخطوطات والصور والنواميس وايضاً جميع الآثار التي وان كانت ثابتة او راسخة في الارض او في بعض العقارات ليست جزءاً غير منفصل عن البناية ويمكن فصلها دون كسرها او تعطيلها ونزعها او نقلها دون كسر او تضرير المحل المرتكزة عليه ٠

المادة الثانية — توضع في أقرب ما يمكن من الوقت قائمة بجميع الآثار القديمة غير المنقولة المعروفة الآن والتي تملكها ، وفقاً لنصوص الشرائع السابقة ، الدولة الموجودة على اراضيها تلك الآثار ملكاً لا دخل فيه لغيرها . يمكن للافراد الذين يتصرفون فعلاً او يتمتعون بعقار او يستغلون عقاراً معتبراً كأثر تاريخي وفقاً لنص هذا القرار ان يداوموا على الانتفاع من الحالة الواقعة . لا يخول هذا الترخيص ادنى حق للاعتراض به على التدابير التي تتخذها الدولة سواء أكان لترتيب العقار او لحفظه . ولا يمكن ايضاً ان ينشأ عن هذا الترخيص حق قابل لانتقال يمكن ورثة هؤلاء الافراد من المطالبة به . يجب عند وفاتهم اخذ ترخيص جديد بالتصرف او الانتفاع اوالاستعمال ويجوز دائماً رفض منح هذا الترخيص . اما الآثار القديمة غير المنقولة التي ستكتشف فتكون مثل غيرها ملكاً للدولة ويجب عند اكتشافها ان تقيد اولاً فأولاً في القائمة المنصوص عنها في الفقرة الاولى من هذه المادة . يمكن اعطاء رخص بالتصرف او الانتفاع او الاستعمال بعد اجراء تحقيق من قبل الدائرة ذات الشأن وابداء رأي مؤسس على أسباب راهنة بشرط مراعاة تدابير المحافظة المذكورة في الفقرة الثانية من هذه المادة . يجب ان تذكر بالتدقيق في القائمة العمومية حالة العقارات الخصوصية المكتشفة او التي ستكتشف الجاري عليها حق من حقوق التصرف او الانتفاع او الاستعمال المعترف بها في هذه المادة .

المادة الثالثة — لا يمكن فيما يختص بالآثار القديمة المنقولة المكتشفة ان يكون لحقوق الدولة كما هي ناشئة وفقاً للشرائع السابقة الأفضلية على حق ملكية الافراد او الطوائف او الجمعيات السورية او اللبنانية او الاجنبية او الدول الاجنبية فيما يتعلق بما يلي : (ا) الاشياء المنقولة التي يمكن اثبات استيرادها من بلاد أخرى . (ب) الاشياء المنقولة الممتلكة بطريقة الارث او الهبة او المشتراة عن حسن نية . (ج) الاشياء المنقولة المشتراة من الدول شراءً قانونياً ببدل او من غير بدل .

اما فيما يتعلق بالآثار القديمة التي ستكتشف فتكون ايضاً ملك الدولة التي يحق لها وحدها والحالة هذه ان تبيعها ضمن الشروط المذكورة فيما يلي : لا يمكن الترخيص بالبيع الا بموجب امر من رئيس الدولة . كل بيع يجري مخالفاً لاحكام هذا القرار يكون

لاغياً . يحق للدولة صاحبة الشأن ان ترفع في كل وقت الدعاوي بطلب الغاء البيع .

المادة الرابعة — يجوز ان يجري على جميع الآثار القديمة المنقولة المذكورة في المادة السابقة والتي هي في حوزة الافراد الترتيب المنصوص عنه في الفصل الثالث من هذا القرار .

المادة الخامسة — لا يبطل بمرور الزمن حق ملكية الدولة للآثار القديمة غير المنقولة وللآثار القديمة المنقولة .

« الفصل الثاني »

— في الآثار القديمة التي هي ملك الدولة —

(الجزء الاول)

— في الآثار القديمة غير المنقولة —

المادة السادسة — ممنوع هدم وتعطيل وتكسير أثر قديم غير منقول وممنوع تغطيته بطين او بدهان وان يكتب عليه او يحفر فيه كتابة او اشارة وان يلصق عليه اعلانات او ان تغير هيئته الخارجية . لا يجوز اجراء ادنى تصليح او ترميم في عقار معتبر أثراً تاريخياً ترك تحت تصرف فرد او الافراد وفقاً لاحكام المادة الثانية الا بترخيص من الادارة وتحت مراقبتها . ممنوع ان تجري بقرب البنايات القديمة اشغال من شأنها ان تضر بطريقة مباشرة او غير مباشرة بمتانتها او بمنظرها الخارجي . ممنوع امتلاك و بيع وشراء المواد التي كانت داخلة في بنايات قديمة او لاتزال داخلة فيها بدون ترخيص . يعاقب مرتكب كل مخالفة لاحكام هذا القرار بجزاء نقدي من ٢٥ الى ١٠٠٠٠ ليرة سورية ويجبر ايضاً المخالف على اتخاذ جميع التدابير اللازمة ليعمل وفقاً لاحكام هذه المادة ويجوز الحكم بدفع تعويضات عطل وضرر للدولة تخصص لاعادة ما تعطل من الآثار القديمة غير المنقولة الى حالته الاصلية .

المادة السابعة — محافظة على الخرائب التي هي من المكانة بمكان وعلى الاراضي التي تحفظ للحفريات الأثرية فيما بعد يجوز انشاء مناطق لحماية هذه الاماكن . يمنع فيها تشييد البنايات وزرع الأشجار واجراء الحفر العميقة وفتح المقابر . تحدد في قرار لاحق الشروط التي تنشأ بموجبها هذه المناطق و كيفية تحديد التعويضات التي يمكن منحها لاصحاب الحق .

(الجزء الثاني)

— في الآثار القديمة المنقولة —

المادة الثامنة — ممنوع هدم وتكسير وتعطيل الآثار القديمة المنقولة وممنوع تغطيتها بطين او كلس او بدهان وممنوع ان يكتب عليها او يحفر فيها كتابة ما وان تغير هيئتها الخارجية . يعاقب مرتكب كل مخالفة لاحكام هذا القرار بجزاء نقدي من ٢٥ الى ٥٠٠ ليرة سورية . ويمكن ايضاً ان يحكم المخالف بدفع تعويضات عطل وضرر للدولة تخصص لاعادة الآثار القديمة المنقولة التي تعطلت الى حالتها الأصلية .

المادة التاسعة — ممنوع تصدير الآثار القديمة التي تخص الدول . كل شخص صدر او حاول او ساعد على تصدير آثار قديمة تخص الدولة يعاقب بجزاء نقدي من ٥٠ الى ١٠٠٠٠ ليرة سورية وبالسجن من ثمانية ايام الى ستة اشهر او باحدى العقوبتين فقط .

« الفصل الثالث »

(الجزء الاول)

— في الآثار القديمة التي هي ملك لدول أجنبية او لجماعات او افراد —

المادة العاشرة — على كل شخص يكون لديه في تاريخ وضع هذا القرار موضع التنفيذ اشياء منقولة لها صبغة الآثار القديمة كما هي محددة في المادة الاولى ان يرسل في مدة اثني عشر شهراً الى رئيس الدولة صاحبة الشأن قائمة على ورقة بدون ورق بول عن نسختين تحتوي على وصف مفصل لهذه الاشياء . تعطى بعد التدقيق الى صاحب البيان احدى هاتين القائمتين المثبتة لحق الملكية . كل مبادلة وكل بيع او تنازل تقبل به الدولة بخصوص أثر قديم يجب ان يدون في شهادة وصفية محررة من نسختين تسلم احداهما الى صاحب الشأن دون دفع مصاريف وتحفظ الثانية في اوراق الدولة . يحق لكل صاحب آثار قديمة منقولة ان يستحصل لكل أثر من الآثار القديمة التي هي في حوزته شهادة خصوصية ترفق بالأثر في انتقاله المتوالي او في نقله او تصديره . بعد انتهاء مدة الاثني عشر شهراً المنصوص عنها في الفقرة الاولى من هذه المادة يجوز ضبط كل أثر قديم منقول غير مقيد في قائمة مدققة مثبتة حق الملكية ويعتبر انه ملك الدولة الى ان تقام الحجة بخلاف ذلك .

(الجزء الثاني)

— في ترتيب الآثار القديمة Classement —

المادة الحادية عشرة — يمكن ان يوضع ترتيب للآثار القديمة المنقولة التي هي الآن او ستكون ملكاً للافراد . ينفذ الترتيب بملء الحق بمجرد ارسال التبليغ به من رئيس الدولة الى صاحب الاثر . يقرر رئيس الدولة إسقاط الأثر من الترتيب و يبلغ ذلك ايضاً الى أصحاب الشأن . يجب ان تنظم قائمة الاشياء المرتبة وتكون دائماً حاضرة جاهزة ترسل نسخة منها الى دائرة الآثار القديمة في المفوضية العليا . يجوز ان يطلع على هذه القائمة كل صاحب علاقة بالآثار .

المادة الثانية عشرة — يجري تنفيذ الترتيب على الأثر ايّاً كان صاحبه . ان حقوق الملكية التي يخولها هذا الترتيب هي غير قابلة الإلغاء بمرور الزمن . على كل شخص يبيع أثراً مرتباً ان يعلم المشتري بوجود هذا الترتيب .

المادة الثالثة عشرة — لا يجوز دون ترخيص تغيير الاشياء المرتبة ولا تصليحها ولا ترميمها وكل مخالفة لهذه الاحكام يعاقب مرتكبها بجزاء نقدي من عشر ليرات الى مئة ليرة سورية .

المادة الرابعة عشرة — احتفاظاً للدولة بحق الشفعة يجب على كل صاحب آثار قديمة مرتبة اذا أراد بيعها ان يعطي علماً عن ذلك لرئيس الدولة في رسالة مضمونة . اما البيع فلا يجوز ان يجري الا بعد ثمانية ايام من هذا التبليغ . كل بيع لاثر مرتب يجري خلافاً لاحكام هذا القرار يكون لاغياً . اذا لم تستعمل الدولة حقها بالشفعة فيجب على البائع ان يبلغ برسالة مضمونة في الثمانية ايام التي تلي البيع اسم وشهرة ومحل إقامة المشتري الى رئيس الدولة . واذا لم يجر التبليغ فيعاقب المرتكب بجزاء نقدي من ليرة الى خمس ليرات سورية .

« الفصل الرابع »

(الجزء الاول في الحفريات)

المادة الخامسة عشرة — لا يجوز لاحد ان يقوم بحفريات أثرية دون ترخيص سابق . لا يمنح الترخيص بالقيام بالحفريات الا لهيئات علمية وتصد الابحاث التي لها صفة علمية فقط يجب على الشخص المكلف القيام بهذه الاشغال ان يقدم ضمانات كافية

تثبت خبرته في الآثار القديمة . يحق للمفوض السامي وفقاً للمادة ١٤ من نص الانتداب ان يمنح هذا الترخيص وان يقبل بالشخص المذكور مراعياً في ذلك احكام هذه المادة . على صاحب الترخيص ان يعمل بموجب الشروط والواجبات المفروضة عليه .

المادة السادسة عشرة — تحدد بقرار لاحق الشروط الواجب تتميمها والتعهدات الواجب التقيد بها لنيل هذا الترخيص ويبين فيه التفاصيل المختصة بصحة الرخصة المعطاة ومدتها وبادارة الاشغال والنشر عنها . يجوز سحب الرخصة اذا لم يعمل بموجب احكام هذا القرار .

المادة السابعة عشرة — يعطى تعويض لملاكي الارض التي تجري فيها الحفريات عن الضرر المسبب لهم من جراء ذلك . اذا لم يتم اتفاق بالرضى بهذا الخصوص يجوز ان تنزع ملكية هذه الارض وفقاً لاحكام القوانين والقرارات النافذة بشأن نزع الملكية للمنفعة العامة . تخمن في هذه الحالة الارض دون ان تؤخذ بعين الاعتبار قيمة الآثار القديمة التي قد تكون مخبوءة فيها .

المادة الثامنة عشرة — وفقاً لاحكام المادة الثانية تكون الآثار القديمة غير المنقولة او المنقولة المكتشفة في اثناء الحفريات ملكاً للدولة التي قد اكتشفت على أراضيها تلك الآثار . يجب تسليم الأشياء المنقولة لحكومة الدولة .

المادة التاسعة عشرة — يحق للدولة ان تأمر بالتنازل عن كل او جزء من الاشياء التي وجدت في الحفريات مقابل بدل او بدون بدل بشرط ان لا يسبب هذا التنازل ادنى ضرر بمجموعاتها . يحتفظ مبدئياً للقائم بالحفريات بحق الشفعة على ان هذا الحق لا يمكن ان يتغلب على حق الدولة في ان تتنازل لدولة أخرى لمتحفها الوطني عن شيء ليس فيه فائدة لمجموعاتها انما يكون متمماً مجموعات ذلك المتحف وذلك خدمة لعلم الآثار القديمة . اذا وقع تزاحم بين عدة متاحف وطنية بخصوص هذا الاثر فيباع بينها بالمزاد . يجب في كل الاحوال ان تعطي الدولة المشترية تعويضاً عادلاً للقائم بالحفريات المحروم من الاثر . كل بيع غير البيوع المذكورة اعلاه اعني البيوع من متحف وطني أجنبي لاجل مجموعاته او من القائم بالحفريات لا يمكن ان يجري الا في القاعات المخصصة للبيع في متحف الدولة .

المادة العشرون — من قام دون رخصة سابقة بحفريات او اسبار او تنقيبات

ولو جرى ذلك على أرضه بقصد ايجاد آثار قديمة بلا حق يعاقب بجزاء نقدي من خمس ليرات سورية الى خمسمائة ليرة · تضبط الاشياء المكتشفة اثناء هذه الحفريات السرية ايًّا كان الشخص الذي وجدت عنده اذا لم يعثر على الآثار فيحق للدولة ان تلاحق المخالف لاجباره على دفع القيمة المعينة لهذه الآثار عندما تظهر هذه الآثار في احدى المجموعات العمومية او الخصوصية في البلاد الأجنبية ·

(الجزء الثاني)

— في الاكتشافات غير المنتظرة —

المادة الحادية والعشرون — فيما عدا الحفريات المرخص بها قانونيًا يجب على كل شخص اكتشف في اي محل كان او في اية حالة كانت او اثناء اي عمل كان اثرًا قديمًا غير منقول ان يقدم في مدة خمسة ايام تصريحًا بذلك الى اقرب سلطة ادارية وهذه السلطة تعطي دون امهال علمًا بذلك الى رئيس الدولة وفي الوقت نفسه الى دائرة الآثار القديمة في المفوضية العليا · يجب ايضًا على كل شخص قد اكتشف صدفة في نفس الشروط والاحوال أثرًا قديمًا منقولاً ان يعلم بذلك اقرب سلطة ادارية · وهي تعطي للمكتشف وصلاً مفصلاً وتعلم بذلك دون امهال رئيس الدولة ودائرة الآثار القديمة في المفوضية العليا ·

المادة الثانية والعشرون — كل شخص اكتشف ضمن الشروط المذكورة في المادة السابقة أثرًا قديمًا منقولاً وعمل بموجب أحكام هذا القرار يتقاضى من ميزانية الدولة وبصفة مكافأة تعويضًا يساوي ثلث قيمة الاشياء المكتشفة · يجوز ايضًا للدولة ان تترك للمكتشف ما يمكنها ان تتركه من الاشياء المكتشفة دون ان يسبب ذلك ضررًا للمجموعات الوطنية · تحسم القيمة التقديرية للاشياء التي تركت على هذا الشكل من تعويض الثلث المذكور في النبذة السابقة ·

المادة الثالثة والعشرون — كل مخالفة للمادة ٢٠ يعاقب مرتكبها بسجن من ثمانية ايام الى ثلاثة اشهر وبجزاء نقدي من ليرة الى خمسين ليرة سورية او باحدى العقوبتين فقط تطبق عند الاقتضاء الاحكام المنصوص عنها في المادة ١٩ المختصة بضبط الاشياء المكتشفة والمطالبة بقيمتها ·

« الفصل الخامس »

— احكام مختلفة —

المادة الرابعة والعشرون — يجوز تصدير الآثار القديمة المنقولة مرتبة كانت او غير مرتبة دون ترخيص من المفوض السامي او من مندوبه .

المادة الخامسة والعشرون — يجب ان يقدم بيان في الجمرك عن الاشياء المستوردة يعطى صاحبها شهادة تثبت الاستيراد . و يجب ابراز هذه الشهادة في حالة اعادة تصديرها .

المادة السادسة والعشرون — تفصل لجنة مؤلفة كما يلي : في الاختلافات التي قد تحدث بين الدولة والقائمين بالحفريات او المكتشفين فيما يختص بقيمة التعويض او تخمين الاشياء المكتشفة والاشياء المتنازل عنها او في قيمة الآثار المزدوجة .

الرئيس يعينه المفوض السامي . العضو الثاني يعينه حاكم الدولة صاحبة الشأن . العضو الثالث يعينه المكتشف او القائم بالحفريات .

المادة السابعة والعشرون — تضبط المخالفات لهذا القرار في محاضر يحررها جميع مأموري السلطة العمومية في الدولة . يكون مأمورو دائرة الآثار القديمة مأمورين عدليين غير مساعدين للنيابة فيما يختص بتطبيق هذا القرار . و يكونون محلفين . ترفع وتلاحق الدعاوي المختصة بالمخالفات المنصوص عنها في هذا القرار بهمة الدولة صاحبة الشأن او في عدمها بهمة المفوض السامي ولا يمنع ذلك الملاحقات التي تقوم بها فوراً النيابة العامة .

المادة الثامنة والعشرون — ألغيت جميع الاحكام المخالفة لاحكام هذا القرار الذي يوضع موضع التنفيذ بعد ثلاثة ايام من نشره في النشرة الرسمية للمفوضية العليا .

المادة التاسعة والعشرون — امين السر العام في المفوضية العليا مكلف بتنفيذ هذا القرار . بيروت : في ٢٦ آذار سنة ١٩٢٦ المفوض السامي

الامضاء : جوفنيل

وصف مخطوطات

زار بعض أعضاء مجمعنا مكتبة الاستاذ الشيخ ابي اليسر عابدين وتصفح كتبها ومجاميع رسائلها فرأى ان ينشر أسماء بعض الرسائل التي عثر عليها فيها :

(١) (زَغَل العلم والطلب) هي رسالة للحافظ الذهبي ضمّنها نقد العلوم الشائعة في زمانه وبيان النافع منها والضار ولم يقتصر في ذلك على العلوم الدينية بل تخطاها الى علوم الحكمة والرياضيات والطبيعيات وهي في نحو ثمان صفحات ٠

(٢) (رسالة العالم والمتعلم) لابي حنيفة النعمان وهي مرتبة على السؤال والجواب هكذا : قال المتعلم ما كذا وكذا ٠ قال العالم في جوابه كذا وكذا ٠ والحِوار يدور حول مسائل العقائد والآداب والأخلاق ٠ وهي في نحو عشرين ورقة ٠

(٣) (محاسن الآداب) لزين الدين عمر الماردبني ألفها سنة ٩٧٥ ﻫ ٠

(٤) (سفينة الصالحي) الصالحي من علماء دمشق وأُدبائها وهو مشهور بحُسن الخط وسفينته هذه مجموعة نفيسة مشحونة بمسائل الأدب والتاريخ وسائر العلوم ٠ وهي واقعة في مجلد لطيف الحجم وقد افتتح خطبتها بقوله : (الحمد لله الذي أجرى في بحار الأفكار سفينة الفصاحة والبلاغة الخ وقد كتبت سنة ١٠٤١ ﻫ ٠

(٥) ديوان خليل بن مصطفى الدمشقي الشهير بالرومي من رجال القرن الثاني عشر وعمّر الى القرن الثالث عشر فمات سنة ١٢٢٠ ﻫ ٠ ولم نخص هذا الديوان بالذكر لعلو مكانة ناظمه في الشعر وانما هو يبين سبب كل شعر قاله ويتخلل هذا البيان أحياناً فوائد تاريخية وتراجم رجال مما تهمّ معرفته كل باحث في تاريخ دمشق في القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ٠ وقد عاش صاحب الديوان تسعين سنة ٠

(٦) ويلي الديوان المذكور رسالة تتضمن موشحات للاندلسيين سماها جامعها (الكواكب السائرة) وبعد ان فرغ من الموشحات الاندلسية اتى على ذكر موشحات الشاميين فذكر من ذلك ما يطيب ويحلو ٠ وفي ذيل هذا المجموع سبع وعشرون قصيدة كلها من بحر السلسلة الذي أولع به الشاميون في عصورهم الأخيرة ٠ وأحفظ من ذلك قصيدة أظنها للشيخ عثمان البصير الحموي من رجال القرن الماضي مطلعها :

(السيف من اللحظ ما تجرّد أوصال الا بفؤادي سطا وقطّع أوصال)
ومنها (الله بصبٍ ، متيّمٍ ومحبٍ ، هل لمحة قُربٍ ، فحال صبري قدحال)
والقصائد السبع والعشرون كلها على هذا النمط والأسلوب في النظم .

(٧) مجموعة رسائل لملا علي القاري منها رسالة في (أويس القرني) ورسالة في مناظرة الشيعة فيما يذهبون اليه مع الرد عليهم . والتعجيب منهم .

(٨) مجموعة رسائل : منها رسالة في الطب لابي قاسم النيسابوري ورسالة في قهوة البن اسمها (إشراق الصحوة في محو ظلام القهوة) .

(٩) مجموعة أخرى : منها رسالة (المفرحات في اللغز والرموزات) وهي تتضمن مسائل في فنون مختلفة وكلها مما يلغز به او يقال ان عبارتها واردة على طريقة الألغاز والأحاجي ومؤلفها العالم التركي المشهور بناقد وهي مرتبة على السؤال والجواب وتبلغ نحو عشرين ورقة .

(١٠) مجموعة رسائل للشيخ الاكبر في موضوعات تصوفية مختلفة : منها رسالة اربع ورقات أجاز فيها الشيخ الاكبر الملك العادل بناءً على طلب الملك المشار اليه . وقد أودعها اسماء مؤلفاته وشيوخه ومسموعاته .

(١١) مجموعة رسائل للفقيه (الحموي) المشهور أولها رسالة (الدر المنظوم في فضائل الروم) وقد عنى بالروم الأتراك العثمانيين وملوكهم الى سنة (١١٠٠ هـ) . وفيها فوائد تاريخية عن أعمال ملوك بني عثمان المتأخرين .

(١٢) مجموعة رسائل أخرى للحموي المذكور : منها رسالة في (إثبات تصرّف الاولياء في الحياة وبعد الممات) وفيها نقل عزاه للسبكي يقول فيه : (ان بعض الأولياء كان يبيع المطر ! !) ورسالة (بدّلت السهر بالمنام) وهو بحث لغوي يشرح لنا الصواب في دخول الباء بعد فعل (بدّل) وعلى اي مفعولين تدخل فهل يقال (بدّلت السهر بالمنام او المنام بالسهر) وهذه الرسالة في ثلاث صفحات . ورسالة (الروض الزاهر) فيما يحتاج اليه المسافر براً وبحراً) وفيها فوائد عن السفر وآدابه وهي تتضمن نحو (١٨) صفحة : منها نحو ثمان صفحات في الأوراد والأذكار التي

يتلوها المسافر · وبقية الرسالة في بيان ما يحتاج اليه المسافر من القوانين والتدبيرات الطبية وتدبير العساكر في نزولها وترحالها وقد ألّفت هذه الرسالة سنة (١٠٧٣ هـ) ·

(١٣) مجموعة رسائل معظمها لابن كمال باشا منها رسالة نظام العلماء لمؤلفها (كافي افندي الاقحصاري) من علماء الدولة العثمانية وقد جمع فيها تراجم (٢٨) عالماً هم شيوخه المتسلسلين منذ زمن صاحب الرسالة الى آخر عالم تركي تلقى عنه ثم ترجم لنفسه فقال ان جده كان نصرانياً من أهل الاسكندرية ثم هاجر الى (اقحصار) وهناك أسلم · وقد ألّف رسالته هذه سنة ١٠٠٨ وفي هذه الرسالة فوائد تاريخية ذات قيمة ·

(١٤) كتاب لابن حجر الهيثمي في فضائل الصحابة الاربعة من حيث يؤدي ذكر هذه الفضائل الى تزييف ما يقوله الشيعة فيهم رضي الله عنهم · وفي الكتاب أخبار وآثار تروق المؤرخ ·

الاستاذ الياس بك القدسي

في اليوم الثلاثين من تموز الماضي فقد المجمع العلمي احد أعضائه الاعزة المرحوم الياس بك عبده القدسي فاشتد على رصفائه المصاب به · ولد في مدينة دمشق سنة ١٨٥٠ م وكان والده يعدُّ من الاغنياء في عصره بارعاً بالموسيقى محباً للعلماء والادباء بحيث كانت داره مباءة لهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، ولما ترعرع ولده دخل مدرسة ابتدائية لطائفة الروم الارثوذكس فتلقى فيها مبادئ العربية واليونانية ثم وافى مدرسة عينطورا في لبنان فأتقن اللغة الافرنسية وبعد ذلك غادر الشام الى آثينة فدرس في جامعتها ست سنين ونال شهادتها المؤذنة باتقانه اللغة اليونانية القديمة والحديثة · وتعلم مبادئ الايطالية والانكليزية والتركية ، وعاد في سنة ١٨٧٢ الى دمشق يتولى برعاية والده شؤون القنصليات اليونانية والبرتقالية والبلجيكية والهولاندية وظل على ذلك الى سنة ١٨٨٨ فولي قنصلاً لليونان ثم وكيلاً للنمسا والمجر وقنصلاً للبرتقال الى قبيل وفاته ·

يتلوها المسافر . وبقية الرسالة في بيان ما يحتاج اليه المسافر من القوانين والتدبيرات الطبية وتدبير العساكر في نزولها وترحالها وقد أتمت هذه الرسالة سنة (١٠٧٣هـ) .

(١٣) مجموعة رسائل معظمها لابن كمال باشا منها رسالة نظام العلماء لمؤلفها (كافي افندي الاقحصاري) من علماء الدولة العثمانية وقد جمع فيها تراجم (٢٨) عالماً هم شيوخه المتسلسلين منذ زمن صاحب الرسالة الى آخر عالم تركي تلقى عنه ثم ترجم لنفسه فقال ان جده كان نصرانياً من أهل الاسكندرية ثم هاجر الى (اقحصار) وهناك أسلم . وقد أتم رسالته هذه سنة ١٠٠٨ وفي هذه الرسالة فوائد تاريخية ذات قيمة .

(١٤) كتاب لابن حجر الهيتمي في فضائل الصحابة الاربعة من حيث يؤدي ذكر هذه الفضائل الى تزييف ما يقوله الشيعة فيهم رضي الله عنهم . وفي الكتاب أخبار وآثار تروق المؤرخ .

الاستاذ الياس بك القدسي

في اليوم الثلاثين من تموز الماضي فقد المجمع العلمي احد أعضائه الاعزة المرحوم الياس بك عبده القدسي فاشتد على رصفائه المصاب به . ولد في مدينة دمشق سنة ١٨٥٠م وكان والده يعد من الاغنياء في عصره بارعاً بالموسيقى محباً للعلماء والادباء بحيث كانت داره مباءة لهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، ولما ترعرع ولده دخل مدرسة ابتدائية لطائفة الروم الارثوذكس فتلقى فيها مبادئ العربية واليونانية ثم وافى مدرسة عينطورا في لبنان فأتقن اللغة الافرنسية وبعد ذلك غادر الشام الى آثينة فدرس في جامعتها ست سنين ونال شهادتها المؤذنة باتقانه اللغة اليونانية القديمة والحديثة . وتعلم مبادئ الايطالية والانكليزية والتركية ، وعاد في سنة ١٨٧٢ الى دمشق يتولى برعاية والده شؤون القنصليات اليونانية والبرتقالية والبلجيكية والهولاندية وظل على ذلك الى سنة ١٨٨٨ فولي قنصلاً لليونان ثم وكيلاً للنمسا والمجر وقنصلاً للبرتقال الى قبيل وفاته .

ولقد عهد البطريرك هروتيوس الى صاحب الترجمة بادارة مدارس الروم ، وكانت كتاتيب صغيرة فأنشأها إنشاءً جديداً ، ووضع لها نُظُمها الجديدة وقلبها رأساً على عقب ، وظل يديرها و يعلم فيها أحياناً مدة ٣٣ سنة بلا أجر ، فتخرج به كثير من أبناء هذه العاصمة ، وخدم أبناء طائفته خدمة مهمة بتأسيس الجنة الطائفية لها ، وخدم الآداب بان كان مؤسس الجمعية العلمية التاريخية سنة ١٨٧٨ · وقد نشأ له غرام بالقراديات او الشعر العامي فنظم على أوزانها المتعارفة بعض النوادر والوقائع ومنها ما نقله عن لافونتين القصصي الفرنسي ومنها ما وضعه وضعاً ، و يدخل ما نظمه منها في مجلدين لم يطبعا وتروق مطالعتهما · وله نحو عشرين قصة تمثيلية وقصة عادية طبع بعضها · ومن تآليفه كتاب في المعميات والاحاجي أو ما يسميه العامة الحزازير تبلغ نحو ٢٥٠ موضوعاً وتكون في مجلدة · ومن رسائله المطبوعة مسك الدفاتر على طريقة هو واضعها ، ومقالة في الحرف الدمشقية طبعت في أعمال مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٨٣ · وقد جمع طائفة من الامثال الدارجة بالعربية وقابلها بما يماثلها من اللغات الاوربية بلغت نحو ٣٠٠٠ مثل لم تطبع · ومن أبحاثه مقابلة بين اللغة اليونانية القديمة واللغة العربية والبرهان على اشتراك اللغتين في بعض الاشتقاقات · وهذا الموضوع كان يعمل فيه الى آخر ايامه وقد نشر شيئاً قليلاً منه بالمناسبات في هذه المجلة ·

وقد أبنه بعد الصلاة عليه في كنيسة الروم الارثوذكس غبطة العالم المفوه السيد غريغوريوس حداد الرابع ، ومما قاله فيه بعد ان عدد اعماله في النهضة بمدارس الروم سنين طويلة وألمّ بصفاته وأخلاقه انه أخذ الحكمة من منبعها في آثينة · ثم قام على الاثر في البيعة رئيس المجمع العلمي وكاتب هذه السطور وابنه باسم المجمع ، فما قال فيه : « حقاً ان هذه السنة سنة المصائب ومن أعظمها رحيل صديقنا ورصيفنا المرحوم الياس بك القدسي على صورة سريعة أدهشت الأحباب وأزعجتهم · أفجع الفجائع الفجيعة بالحبيب ، خصوصاً اذا كان الإخلاص المطلق سدى الحب ولحمته · صحبت صديقي الذي أبكيه الآن منذ نحو ٣٢ سنة فما رأيته ، منذ اجتمعنا الى ان قضى الله بفراقنا ، الا مثال الوفاء والكرم ، وهما الصفتان اللتان يمتاز بهما الرجل العربيّ الحرّ الأبيّ ·

عرفته وهو يؤويننا في بيته ، ويحمينا بالعلم الذي كان يرفرف على داره ، فما كان الا كأحدنا او أشد غيرة على هذا الوطن ، وربما كان اكثر تأثراً عليه ، وسعياً لاستكمال أسباب سعادته . عرفته أديباً يحب كل من اشتغلوا بالعلم والأدب ، و يهيئ لهم السبل الى التكامل ، و يدفعهم الى التقدم . ولما أنشئ المجمع العلمي بعد الحرب العالمية كان اول من لبى دعوة اخوانه ليعمل معهم ، وكان عمله يوازي عمل الشباب من الأعضاء ان لم يبزهم . وما وكل اليه قط امر ولم يوفه حقه ، و يتمه على نظام تام وتدقيق عجيب .

كان المجلس الذي يجلس فيه صديقي الياس القدسي مجلس الانس بجملته وتفصيله ، يفيض بهجة وسروراً ، لانه على ما أوتي من علم حديث وعرف من لغات حية وغير حية وخبر من أحوال المجتمع ، المرجع الاول في اللغة العربية العامية ، ومن منه لم يقرأ شيئاً مما خطته أنامله من الشعر العامي ، وأملاه روحه الشفاف من النكات ولم يعجب ويعتبر . وربما لا أخطئ اذا قلت ان صديقي الراحل كان صورة من صور القصور القديمة وتربيتها ، ممزوجة بروح عصري ، فهو قديم وحديث ، وهو عصامي وعظامي . فلئن حزنت لوفاته فقد فقدت به أخاً باراً ، وخلاً وفياً ، وأديباً فناناً ، وخبيراً في شؤون هذا المجتمع يكاد يكون منقطع القرين بمعلوماته ، ونسخة جميلة من التربية القديمة العربية ، مزينة بالتربية الحديثة . وهو نادر المثال بتربيته وأدبه ودوؤبه ولطف نادرته وجميل محاضرته . رحمه الله عدد حسناته وطيب صفاته ، وسبحان من هذا فعله لا رادّ لقضائه ، ولا مفرّ من بلائه ، وانا لله وانا اليه راجعون .

م . ك

عثرات الارقام

« ٢٩ »

ومنها قولهم (ارتدى بذلته الرسمية) (البذلة) بالذال المعجمة وبكسر الباء الثوب الذي يبتذل باستعماله كل يوم والناس يقولون (بدلة) بالدال المهملة و يريدون بها مطلق الثياب التي تلبس ٠ اما الثوب الرسمي فهو ما يلبس في المواسم والحفلات ٠ ويكون غير مبتذل ٠ ولا يستعمل كل يوم ٠ فبين كلمتي (بذلة) و (رسمية) تناقض ظاهر ٠ فالصواب ان يقال ارتدى ثوبه الرسمي او لبوسه الرسمي او رداءه الرسمي او برده الرسمي او بزته الرسمية او حلته الرسمية ٠ وهناك كلمة أفصح من جميع ما ذكر وهو ان تقول : ارتدى شارته الرسمية او شياره الرسمي والشارة والشيار ثوب الزينة ٠

ومنهـا قولهم (أغدقوا الدنانير على الناس أصراراً وأكياساً) الظاهر انه يريد بالأصرار جمع صرة والصرة انما تجمع على صرر كغرفة وغرف ٠

ومنها قولهم (ثمالى بخمرة الانتصار) صوابه (ثملون) جمع ثمل اما (فعالى) فجمع لمثل سكران فيقال سكارى وحيران حيارى ٠ ولا يجوز ان يقال في جمع ثمل ثمالى قياساً على سكارى وحيارى ٠

ومنها قولهم (وهذا لا يفيد في قطع النزيف وضمد الجرح) صوابه لا يفيد في قطع النزف اي خروج الدم اما النزيف فهو الشخص الذي يسيل منه الدم ٠

ومنها قولهم (بنت الملك وتربياتها) صوابه وأترابها جمع (ترب) وهن المتقاربات في السن ٠ اما (الترببات) فهي عظام الصدر ٠ واحدها تريبة ٠ وقلما يجمعون التريبة على تريبات ٠ وانما يقولون ترائب ٠

ومنهـا قولهم (نقشوا عليه رسوم أسعاف النخل) يريدون بالاسعاف جمع سعفة وهي جريدة النخل او ورقة النخل ٠ وصوابه ان يقال : رسوم (سَعَف النخل) فان السعف بدون تاء جمع سعفة بالتاء ٠ ولا يقال في جمعه أسعاف وكذلك لا يقال في مفرده (سَعَف النخل) كما سبق الى بعض الاوهام ٠

ومنها قولهم (وقد شعر بخوران قوته) صوابه بخور قوته او خؤور قوته اي ضعفها ولم يسمع خوران .

ومنها قولهم (فانه يجتهد في إغارة الصدور على الحكومة) صوابه (في إيغار الصدور) مصدر أوغر صدره عليه اذا أحدث فيه الوغر وهو الحقد . اما الإغارة فمصدر أغار العدو على البلاد اذا هاجمها فجأة .

ومنها قولهم (ثم ان القوم أفلوا راجعين) صوابه (قفلوا) من القفول بمعنى الرجوع اما (أفلوا) فمن الافول بمعنى غياب النجم والكوكب وزوال نورهما بعد تألقه .

ومنها قولهم (يلزم وضع حد لهذه المؤاساة الدامية) (المؤاساة) ان تواسي المصاب وتعزيه بما يخفف همه و يطفئ لوعته . ولعل الكاتب أراد به (المأساة) المشتقة من الأسى وهو الحزن – و (المأساة) كلمة اخترعها أبناء هذا العصر لتقوم مقام (تراجيدي) الافرنجية و يريدون بها قصة تمثل على المرسح وتكون وقائعها ومناظرها مما يثير الأسى والحزن في النفوس .



اخبار وافكار

قصة زقاق الاربعين

كتب رصيفنا الاستاذ المؤرخ الشيخ كامل الغزي من حلب الى رصيفنا الاستاذ المؤرخ السيد عيسى اسكندر المعلوف الرسالة الآتية بشأن زقاق الاربعين جواباً على ما كتبه المعلوف في الجزء الماضي من هذه المجلة وهذا نص الجواب الذي ارسله الينا المعلوف :

« ايها الصديق الفاضل : قرأت في مجلة المجمع العلمي مقالتكم الغراء المحررة بقصة زقاق الاربعين بحلب ، وما اثبتموه فيها من المناقضات واقع في محله . غير اني ربما اعذر على اثباتها في تاريخي على الوجه الذي قرأتموه فيه وذلك اني لم اثبتها فيه الا بعد ان رأيت خبرها مستفاضاً على ألسن الناس في حلب خواصهم وعوامهم مسيحيهم ومسلمهم . سمعتها من رجال مسيحيين ثقات رووها لي بالسند المتصل عن آبائهم وأجدادهم منهم الخواجه انطون الصقال والد صديقنا المحترم ميخائيل افندي الصقال . ومنهم والد المرحوم جرجي افندي الكرتلي وهو ممن يعتمد عليه حتى انه كان يقول لي ان اسرته من جملة تلك الأُسر المنتقلة . ومنهم الاديب الكبير المرحوم جبرائيل افندي الدلال صاحب القصيدة المشهورة وهو خال صديقنا الآخر قسطاكي بك الحمصي وقد رواها لي غير هؤلاء من الشيوخ والكهول المسلمين والنصارى .

ونقل لي احد اصدقائي من المسلمين وهو سعيد اغا بن راغب اغا ان السلطان سليماً نقل في ذلك العصر ايضاً جده الاعلى المعروف والمشهور باسم كوجك علي اغا من ديار بكر وهو جد مصطفى نعيما الحلبي صاحب تاريخ الروضتين التركي العبارة وهو النقيل الاول من هذه الأسرة التي هي من جملة الاربعين الأُسرة المسلمة التي نقلها السلطان سليم من البلاد المجاورة الى حلب . قال : وكان غرض السلطان من نقل هذه الأُسر مسلمها ومسيحيها تكثير عدد اعيان حلب وتقوية تجارتها وذلك ان حلب كانت قليلة التجار مع ما كان عليه موقعها الجغرافي من الاهمية التجارية قال : وكان تجارها القليلون عصبة واحدة يحتكرون البضائع و يتحكمون بالناس ولا يبيعونها الا بالاسعار التي يرغبونها . وان حلب ابتليت من قديم الزمن بفقد الرجال ذوي الوجاهة

والشخصيات البارزة فكان غرض السلطان من نقل تلك الأسر تكثير عدد التجار لتخليص التجارة من تلك العصبة المتحكمة ولايجاد جماعة من الاعيان يمكن للحكومة ان تتفاهم معهم (١) .

نعم ان هذا العصر عصر ريب وشكوك ، وان أعظم قضية واشهر حكاية لوعرضت على محك البحث والانتقاد لظهر فيها فساد وتناقض من بعض الوجوه غيراننا لايتحتم علينا بعد ان نتوثق في أخذها ان نعدها مكذوبة مفتراة لاظل لها من الحقيقة ، والا لفقدت الثقة من جميع ما رواه لنا السلف من الأخبار والآثار .

وعليه فاني لا اجزم بان قصة زقاق الاربعين كلها خرافة مفتراة بل اقول : لابد لهذه الحكاية من اصل اي لابد ان يكون السلطان سليم اوالسلطان مراد قد نقل بعض الاسر الغريبة الى حلب للاغراض المذكورة ولكنني أرتاب بعدد المنقولين وبان الزقاق مضاف الى عددهم . بل لا اشك ان هذا الزقاق مضاف الى كنيسة كانت فيه مبنية على اسم (الاربعين شهيداً) ثم خربت الكنيسة واستمر الناس يضيفون الزقاق الى الاربعين وتوهموا ان المراد من هذه اللفظة اربعون أسرة .

ويوجد في حلب عدة مقامات يعرف كل واحد منها (بمقام الاربعين) منها (مقام الاربعين) في محلة العقبة (٢) ومنها (مقام الاربعين) في محلة شاهين بك ومنها (مقام الاربعين) في محلة داخل باب المقام . ومنها في كنيسة الارمن القديمة .

وقد اختلف المسلمون والنصارى في هؤلاء (الاربعين رجلاً) فالنصارى يقولون : انهم (الاربعون شهيداً) والمسلمون يقولون : انهم (اربعون رجلاً) من الأبدال المتدركين بالكون « على ما ذكره الشيخ عبد العزيز الخواص في كتابه الابريز » .

اما نحن فاننا نتبرأ من جميعهم ونعتبرهم كعنقاء مغرب لا وجود لهم الا في

---

(١) ورأيت في بعض هوامش المخطوطات ان جلب المسلمين والنصارى الى حلب وغيرها كان برضى السلطان سليم وامره ليكثر عددهم بين الشيعيين الذين كانوا يناوئونه العداء بعد محاربته العجم ووقوفهم في طريق قوافله من الاستانة مادعا الى الفتح . (المعلوف)

(٢) راجع الجزء الثاني من تاريخي (نهر الذهب) الصفحات ٩٠و٣٦٨و٣٨٨و٤٧٣ .

مخيلات فاسدة وأفكار سخيفة . ودليلكم الذي أوردتموه على كون حكاية زقاق الاربعين خرافية هو معقول من جهة . اما وقد ثبت لدينا ان المنتقلين كانوا من البلاد المجاورة لحلب اي من بلاد عثمانية فاني أراه غير وارد لان المنتقلين عثمانية ايضاً وقد كانوا قبل نقلهم ينازعون الامة الاسلامية أسباب البقاء وهم في بلادهم ايضاً .

واما اختلاف الرواية عن الناقل بين ان يكون السلطان مراداً وبين ان يكون السلطان سليماً فهو لا يستلزم نكران الحادثة بتمامها . ويمكن ان يقال : ان اهل ذلك الزمان كانوا — وعلى الاخص المسيحيين منهم — لا يعرفون اسماء السلاطين لبعدهم عن مراكز الحكومة فخلطوا بين السلطانين . اما خلو حلب عن النصارى فهو بلا شك باطل لا أصل له . فان حلب لم تخل منهم قط . وانما يمكننا ان نقول انهم قل عددهم فيها كما قل عدد المسلمين بسبب حوادث الصليبيين ولاسيما حينما دهمتها جيوش التتر الاولى والثانية . فراجعوا ما كتبناه في حمامات حلب في ايام ابن العديم الصفحة الـ (٣٢٩) من الجزء الاول يظهر لكم ان سكان حلب بعد هذه الحادثة لم يبق منهم غير سبعهم او اقل . فلو فرضنا ان النصارى كان عددهم في حلب مائة الف فانهم لم يبق منهم سوى سبعة آلاف . هذا ولا سواه .. » .

حلب : **كامل الغزي**

جمع فُعَال بالضمّ نادرٌ كلَّ النُّدور

الى حضرة العلامة « محقق » :

طالعتُ لك ياسيدي في الجزء الرابع من هذه المجلة مقالةً بعنوان « جمع فُعال بالضمّ ليس بنادر » اتهمتَ فيها أمام النحو الأكبر وقطب اللغة الأشهر ابا بشر سيبويه بانه أخذ بخناق اللغة العربية أخذ الساطي الصائل ، وقيّد عنقها بالاغلال والسلاسل . « فحجَّرها في مكانها وأخمد أنفاسها » ! ! واستدللتَ على صحة هذه التهمة بقوله انه لم يرد من الجموع على فُعال (كغُراب) إلاّ ثمانية ألفاظ ذكرها غير واحد من أصحاب المعاجم ثم زاد بعضهم اربعة فبلغ عددها اثني عشر . ولم تحصر هذه التهمة في سيبويه بل أطلقتَها على جميع أئمة اللغة الذين قالوا قوله في كتبهم

ومعاجمهم فكانوا شركاءه في الحجر والتقييد والأخذ بقول فاسد غير سديد ·

وكانت بينتك الكبرى على فساد قولهم أنك تمكنت من العثور على عشرين لفظة أخرى أثبتها مع الاثنتي عشرة في ذيل مقالتك وشفعتها بقولك « ولابد هنالك غيرها مرد ناه » ·

وخلاصة ما في مقالتك ان سيبويه وغيره من جهابذة اللغة عدُّوا صيغة فُعال من صيغ الجمع العزيزة النادرة وهي ليست كذلك لانه ورد عليها اثنان وثلاثون اسماً او اكثر · والصيغة التي يجمع عليها مثل هذا العدد من الاسماء لا يصح ان تعد نادرة · وقولهم بندورها معدودٌ في حكمك تحريجاً للغة وإخماداً لأنفاسها · فهم والحالة هذه قد أساؤوا اليها بما وضعوه لها من القيود والروابط والقواعد والضوابط ·

فهل تأذن لي يا سيدي ان أخالفك فيما ذهبتَ اليه من أوله الى آخره وأقول — ولا أخاف في قول الحق لومة لائم — انهم بعملهم هذا أحسنوا الى اللغة كل الإحسان وطوَّقوا جيدها بعقود منن لا يُبلي جديدها الملوان ، وقد جروا فيه على سنة الله في خلقه لكل عوالم الجماد والنبات والحيوان ولا سيما عالم الإنسان · واذا كنا نحن بأسرنا خاضعين — طوعاً أو كرهاً — لشرائع سماوية وسنن طبيعية وقوانين بشرية وكانت لغات جميع الأمم الحيّة الراقية جارية هذا المجرى ، أفيصحُّ ان تشذَّ لغتنا العربية عن هذا القياس وتظل همَلاً مشتتة الشمل متقطعة الأوصال وعُطُلاً من حلى القواعد والأحكام ؟

ولو بقيت الى الآن كما ادَّعيتَ أنها كانت قبل عهد أبي بشر فهل كان في إمكان الملايين الناطقين بها ان يتخاطبوا و يتفاهموا — وهم متفرقون تحت كل كوكب — بمثل هذه السهولة والصراحة اللتين يتخاطبون بهما في هذه الايام ؟ فسيبويه والعلماء الذين به اقتدوا و بهديه اهتدوا لم يحجّروا اللغة في مكانها ولا أخمدوا أنفاسها بل وضعوا على صخر الثبات أساسها ورفعوا في الخافقين نبراسها ·

بقي وزن فُعال وهو بيت القصيد · فقد زعمتَ ياسيدي انه ليس بنادر وحجتك في ذلك ورود اثنين وثلاثين اسماً مجموعة عليه · اما كاتب هذه السطور فانه ينازع في عشرة اسماء من العشرين التي زدتَها ولا يسلّم بصحة ورودها وهي : « دناة ورُجال وشُهاد وطُوال وظُماء وأُمات ومُلاء ونُباء ونُكات ومُثال » · و يضع

خمسة من العشرة الباقية موضع البحث والنظر وهي « بُراء وجُذاذ وجُمال ورُعاء وكُباب » . وقد سبق حضرة الاستاذ السيد عبد القادر المغربي واعترض على صحة جمع الاوّل منها « بُراء » في الجزء الثالث من هذه المجلة (ص ١٢٠) فالباقي من العشرين التي زدتها ، بعد الطرح والإسقاط ، انما هو خمسة ، والباقي من مجموع المسموع على وزن فُعال ، سبعة عشر ، ولكن لكي أكفي سيدي مؤونة البحث والجدل وإطالة الكلام على غير طائل اقول — هبني اعترفتُ بصحة ورود الاثنين والثلاثين وسلمتُ باحتمال زيادة عشرات فوقها حتى تبلغ المئة او تنيف عليها أفتظن عددها حينئذٍ يكون كافياً لإخراج وزنها من حكم الندور ونظمه في سلك أوزان الجموع الغالبة الكثيرة التي كل منها معروف مألوف ، وقد ورد عليه من الاسماء مايعد بالمئات والالوف ؟ وهبني قلتُ مثلاً ان وزن « فُعلاء » بضم ففتح نادرٌ في الاسماء المفردة لم يُسْمَع منها عليه سوى بُرَحاء ورُدَّاء وخُيَلاء ورُحَضاء وصُعَداء وعُرَواء وقُوَباء ونُفَساء . وجئتَ بعدي فزدتَ عليها حُوَلاء وعُدَواء وعُشَراء وغُلَواء ومُوَباء ومُطَواء وزاد غيرك عشرين او ثلاثين فهل تسوغ هذه الزيادة عدّ وزن « فُعَلاء » من أوزان الأسماء المفردة الكثيرة الاستعمال ؟ إذن وزن « فُعَال » غريبٌ ونادرٌ كلَّ الندور كما سبق فعده سيبويه وعليه الجمهور .

وبعد فلا يخفى عليك ان النحاة واللغويين الذين أشرتَ الى اندفاعهم وراء سيبويه لم يكونوا من الإمَّعات المتابعين لغيرهم عفواً بلا تدبرٍ ولا تبصُّرٍ بل كانوا كلهم نباريس هدىً وإرشاد ومصابيح تنقيب وتدقيق . ولو لم يجدوا إمامهم ابا بشر اهلاً للإمامة والزعامة من كل وجهٍ لما احتفلوا بكتابه ذلك الاحتفال ما برح الى الآن مضرب الأمثال في إقبالهم عليه من كل فج متسابقين الى تحليته بالشرح والتحشية والتعليق . وعلى رغم ما تحاوله من بخس حقهم وحق زعيمهم ما فتئت رائحة فضلهم الذكية كرائحة اسم إمامهم [1] تعطر الاندية والافواه وتزجي اليهم ركاب الشكر والثناء من جميع الألسنة والشفاه .

القاهرة : اسعد خليل داغر

(١) اشارة الى معنى كلمة سيبويه بالفارسية وهو رائحة التفاح . قيل لقب به لانه كان وهو غلام جميلاً كأن وجنتيه تفاحتان . وكان مع جمال صورته طيب الرائحة جداً .

مطبوعات حديثة

البينات

« تأليف الشيخ عبد القادر المغربي طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٢٦ »

مما تفنن به أئمة الأدب قديماً وحديثاً ، هذه الرسائل الموجزة التي ينشؤونها في أغراض لهم مختلفة من لغوي وأخلاقي وفكاهي ، كمقامات الحريري والهمداني ومجالس ابن الرومي ومسامرات ابن العربي وعبرات المنفلوطي ، ومنها الروايات القصيرة التي اعتاد المتأخرون وضعها لتقرأ في جلسة واحدة ، اما في جريدة او في صحف مستقلة ، وكلها أساليب جيدة للتعليم والتثقيف ، لما فيها من تلخيص القول وسهولة التناول .

من أساطين هذا الشأن العصريين ، العلامة الشيخ عبدالقادر المغربي احد اعضاء المجمع العلمي العربي العاملين ، الغني بشهرته عن التنويه بمنزلته في المفكرين المصلحين اولي نوبة التجديد في هذا العصر ، وقد اجتمع له في خلال ردح من الدهر مقالات شتى في أغراض متنوعة ، كانت تنشر في أشهر جرائد مصر حين كانت تستمد من قلمه مواضيعها الاجتماعية والاصلاحية ، غير ان المقالات العلمية في صحف الاخبار ، لا بقاء لها فهي تذهب مع يومها الذاهب ، مع ان منها ماهو جدير بالتدوين يرجع اليه كسائر المصنفات القيمة التي في موضوعه ، فلذا عمد الاستاذ المغربي الى إعادة طبع ما انتقاه من مقالاته تلك في كتاب سماه (البينات) أصدر منه قبلاً الجزء الاول ، والآن صدر الجزء الثاني ، يحوي اكثر من اربعين مقالة في الاصلاح الديني والاجتماع والأدب والتاريخ ، منها ما ينبغي ان لا يفوت العالم الاطلاع عليه ، لان فيه آراء جديرة بوضعها موضع البحث والتمحيص أنتجها فكر متوقد نقاد ، ومنها ما تمس حاجة المتعلم اليه ، لأنه أقرب الطرق في تحرير موضوعه الذي تشعبت الافكار في مناحيه ، وفيه عون تحصيل ملكة الكتابة .

هذه المقالات وان كانت قد كتبت قبل نحو عشرين سنة ، الا ان هذا الزمان الذي مضى عليها لم يؤثر في جدتها ، اذ كانت مواضيعها مما يزيد مر الايام الحاجة

اليه ، ولا ينقصها ؛ على ان الاستاذ لو لم يلتزم اعادة طبعها بحروفها ، وهذبها لكان انق
لحسنها ؛ ولعله يعني بذلك في الطبعة الآتية ان شاء الله · من اعضاء المجمع العلمي
مسعود الكواكبي

مجلة لغة العرب

للأب انستاس الكرملي عضو مجمعنا العلمي في بغداد مساع في خدمة اللغة العربية وطريقته مبتكرة في نشر آدابها وتحقيق كلماتها ، لا يدركه فيها عثار · ولا يجاريه في ميدانها مجار · وقد كان منذ اثنتي عشرة سنة يصدر في بغداد مجلة لغوية أسماها (لغة العرب) لبثت نحو ثلاث سنوات ثم حال دون نشرها صرف الزمن · وما تتابع من المحن · وبقي محبو الاستاذ وعشاق فضله يرتقبون عودته الى إصدارها حتى أعادها اليوم بطرازها المعلم · وعلى أسلوبها المتين المحكم · وقد جاءنا الجزء الاول من سنتها الرابعة فاذا هو جنة لغة دانية الثمار مفتحة الأزهار وقد آنسنا في فضلاء دمشق سروراً واغتباطاً بصدور هذه المجلة ، وحمدوا الله على عودة محررها العلامة الى ميدان العمل في خدمة اللغة الضادية بعد ان خامرهم اليأس من عودته فتلقوا بصدور مجلته بشارتين · وفازوا من امره وأمرها بالحسنيين · ومجمعنا العلمي يشاركهم في هذه العاطفة نحو الاستاذ ومجلته · ويهنئه بعودته وجليل خدمته · « المغربي »

اسباب النهضة العربية

« في القرن التاسع عشر »

تأليف السيد أنيس زكريا النصولي طبع في مطبعة وزنكوغراف طبارة
في بيروت ١٣٤٥ — ١٩٢٦ ص ١٤٢

أجاد المؤلف الكلام على بداءة النهضة العربية بدخول نابوليون الى مصر ثم بظهور محمد علي الكبير وما قاما به من الأعمال المدنية في العلم والصناعة والجيش معتمداً في ذلك على مصادر أجنبية وعربية · ثم تكلم على انتقال النهضة الى الشام

بانشاء مدارس التبشير فيها فأفاض فيما أحدثته من الأثر ومنها مدارس الاميركان والفرنسيس وغيرها ولا سيما الجامعة الاميركية وكلية القديس يوسف في بيروت . وفاته ان يتكلم على المدارس الاميرية التي أنشئت على عهد المرحوم مدحت باشا في انحاء الشام ومنها نشأ القسم الأعظم من المنورين من المسلمين . وأبان النتائج الحسنة التي أثرت في نهضتنا باحتكاكنا بالغرب . ثم تكلم على الطباعة والصحافة والتأليف والمكاتب والتمثيل والمستشرقين وعنايتهم بالمدنية العربية ، والهجرة ومؤثراتها . ولكنه غفل عن أشياء منها تأثير السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وقاسم بك امين في النهضة الاجتماعية والعقلية ، ثم تأثير الشيخ طاهر الجزائري والسيد عبد الرحمن الكواكبي في النهضة الفكرية والعلمية . وكان المؤلف زهد بما عمله قومه وأعجب بما قام على أيدي غيرهم . من ذلك قوله في التمثيل العربي ان مؤسسه مارون النقاش ، مع ان هذا ترجم بعض روايات ، والذي وضع أساسه في الحقيقة احمد ابو خليل القباني العالم بالشعر والموسيقى والغناء والرقص وهو مبتدع مؤلف وذاك محتذ مترجم . ولم يتعرض المؤلف لما قام من أسباب النهضة في العراق وفلسطين وتونس مثلاً فان هذه الأقطار شاركت ايضاً في الموضوع الذي عالجه مشاركة لا بأس بها ونبغ فيها نوابغ نهضوا بالعرب وأناروا أفكارهم وألفوا وطبعوا على غرار أبناء القطرين الشامي والمصري . وقد غفل عن ذكر كثير من المؤلفين ممن كان لهم شأن يذكر في تزجية هذه النهضة الى الأمام أمثال محمود باشا الفلكي وعلي باشا مبارك وعبدالله باشا فكري ورفاعة بك طهطاوي . واذا نعى المؤلف على الأزهر اوساخه وقلة نظامه فما كان احراه ان يذكر المدارس التي يفتخر بها في مصر ولا سيما نظافة دار العلوم التي خرّجت مئات من العلماء كانوا بهجة العلوم والآداب في مصر وغيرها . واذا ادعى المؤلف ان كلامه محصور في القرن التاسع عشر ، يقال له انه تعرض في كتابه لاشياء هي من محصول القرن العشرين وكل ماذكرناه هو محصول القرن الذي عالجه وربما نضجت ثمراته اوبات القائم به في أوائل القرن العشرين . ورجاؤنا ان يعود المؤلف الفاضل في طبعة ثانية يضيف هذه الملاحظات الى كتابه فيزيده إمتاعاً وفائدة .

محمد كرد علي

المجتبى

لابن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١ طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٢ ص ٩٢

نشر هذا الكتاب السيد هاشم الندوي عن نسختين نسخها المستشرق الكبير فريتس كرنكو احداهما في مكتبة اكسفورد والثاني في المتحف البريطاني في انكلترا ونسخة المتحف منقولة بخط عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جرادة المعروف بابن العديم الحلبي سنة ٦٣٠ وقد قدم الناشر الاستاذ الندوي مقدمة في ترجمة المؤلف مبيناً مزايا كتابه هذا . والكتاب أحاديث وشذرات من خطب وأمثال وأقوال للحكماء من أهل الاسلام واليونان وغيرهم ومواعظ ونوادر وشرحها صاحب المقصورة شرحاً بديعاً يتعلم بها المطالع حكمة ويستفيد أدباً . وكنا نود لو بذلت العناية اكثر مما بذلت حتى الآن بمطبوعات مطبعة حيدر آباد الدكن من وضع الفواصل وتقطيع الجمل وتحلية النصوص بالشكل عند مواطن الإشكال وشرح بعض الغامض من الألفاظ تسهيلاً على جميع المطالعين وعسى الذين عنوا بطبع كتب العرب في الدكن وبمباي ولاهور وكلكتا ودهلي ولكنو وكبور وغيرها من بلاد الهند ان يجروا بعد الآن على الطريقة التي اتبعها علماء المشرقيات وطرّس على آثارهم بعض الطابعين في مصر والشام وتونس والعراق وعندها تزيد فوائد مطبوعاتهم فوق ما فيها اليوم من النفع العميم . م . ك

الجغرافية العامة

الجزء الاول في الجغرافية الرياضية تأليف السيد كامل نصري طبع بمطبعة الترقي ١٣٤٥ — ١٩٢٦ ص ١٥٢

هذا كتاب استقاه مؤلفه من مآخذ شتى « عربية وتركية وافرنسية والمانية » وقسمه الى جزئين والاول في الجغرافية الرياضية اي الفلكية ، استهله بمقدمة في

نشأة الكرة الأرضية وتاريخ اكتشاف أجزائها وتكامل فن الجغرافية وماهيته وأقسامه وعلاقته بالعلوم الأخرى . وقد لاحظنا على المؤلف انه غفل عن عمل العرب العظيم في الجغرافية ولم يتعرض لذكر اكتشافاتهم ولا مصنفاتهم النفيسة . وفي محاضرات الجغرافية التي ألقاها صديقنا العلامة السنيور جويدي في الجامعة المصرية بيان شاف في هذا الموضوع ، وكتب الجغرافية التي طبعها علماء المشرقيات ، ومنها المكتبة الجغرافية العربية للعلامة دي خويي الهولاندي محفوظة في دار الكتب العربية يمكن المؤلف ان يرجع اليها و يشهد من تحقيقات العرب في هذا الشأن ماهو قرة العيون على غابر القرون .

م . ك

استقلال المجمع العلمي

طلب رئيس المجمع العلمي العربي الى أرباب السلطات العليا بتاريخ ١١ شباط سنة ١٩٢٦ انفصال هذا المجمع وتوابعه (داري الكتب والآثار) عن الجامعة السورية وربطه في معاملاته الرسمية بوزارة المعارف مباشرة وان يكون مستقلاً بأموره المالية له شخصيته المعنوية وذلك حباً بتقليل العلائق الادارية التي تعوقه عن الاسراع في أعماله اليومية الكثيرة وذلك على النحو الذي جرت عليه معظم مجامع العالم فصدر قرار فخامة المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان بتاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ بنزع المجمع وما يرتبط به من الجامعة السورية على ان تعين أوضاعه الادارية في قرار آخر .